الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم الثقافة الشعبية

الخطاب السياسي الجزائري

من منظور علم الاجتماع اللساني

دراسة تحليلية

رسالة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه في شعبة علم اللهجات

إشراف أ.د رشيد بن مالك إعداد الطالبة نادية بولقدام

أعضاء اللجنة المناقشة:

أ.د/ محمد سعيدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا.
أ.د/ رشيد بن مالك	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا.
أ.د / شريفي عبد الواحد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضوا.
أ.دة/ صفية مطهري	أستاذة التعليم العالي	جامعة وهران	عضوة.
د/ عبد الحليم بن عيسى	أستاذ محاضر(أ)	جامعة وهران	عضوا.
د/ هشام خالدي	أستاذ محاضر(أ)	جامعة تلمسان	عضوا.

السنة الجامعية 2011 - 2012

إهـــــــــداء

أهدي عملي المتواضع هذا، لوالدي العزيزين اللذان سخرا لي كل الوسائل المادية والمعنوية، منذ نعومة أظافري، حتى أصبحت ما أنا عليه الآن... فشكرا أبي وشكرا أمي...

كما أهديه لزوجي، وأشكره الشكر الجزيل على المساعدات الجمة والتفهم.

كـــلـمـــة شـــكـــــر

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدوني من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع، وأذكر على رأسهم، الأستاذ الدكتور رشيد بن مالك، الذي كان، كما يعرف عنه، أستاذا يسعى لمساعدة طلبته بقلب كبير... لك كل التقدير والاحترام أستاذنا العزيز...

كما أتوجه للسيدة بجاوي، مديرة مركز التكوين المهني بالكيفان، تلمسان، على مساعداتها التي لا تعد ولا تحصى.

كما لا يمكنني أن أتغاضى عن تقديم الشكر الجزيل للأستاذ الدكتور موسوني محمد على مساندته ومساعدته الثمينة... فلك كل الشكر أستاذي الفاضل.

وأخيرا، أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور الفاضل، بن مالك حبيب .

بـــســـــم اللـــه الـــــرحـمـــن الـرحـيـــم

المـــقدمـــــــــــــــة

المقـدمـــــة

تأتي هذه المحاولة لتدعيم البحوث التي اختصت بعلم اللهجات واهتمت به. لقد عرفت الجزائر حقبا عديدة من تاريخها العريق وقد تميزت كل حقبة بنمط سياسي معين، جعلها تختلف عن سابقاتها وعن لاحقاتها، مرورا بالمملكة البربرية إلى الاستعمار ألروماني فالحقبة ألإسلامية فالمرحلة التركية (أو العثمانية)؛ تلا ذلك فترة الاستعمار الفرنسي ورحيله، فمرحلة الاستقلال التي عرفت بدورها عدة تحولات، أهمها مرحلة الحزب الواحد ثم مرحلة التعددية الحزبية، فدخلت الجزائر بهذا مرحلة ما يسمى "باللعبة" السياسية. وتأسيسا على هذه الكلمة الأخيرة، ألا وهي "السياسة" ارتكز بحثي هذا. وهنا قد يتساءل القارئ الكريم عن علاقة تخصصي (علم اللهجات) بموضوع كبير كالسياسة، ومن المتفق عليه علميا أن من يحق له الخوض في هذا المجال، لابد أن يكون من أهل الاختصاص، لذا وجب علي أن ألمح في هذا السياق إلى أن بحثي الموسوم ***"الخطاب السياسي الجزائري من منظور علم الاجتماع اللساني -دراسة تحليلية-*** "لا ينصب على تحليل الخطاب السياسي الجزائري من حيث مضمونه السياسي البحت، وبالتالي عملية نقد أيديولوجيات السياسيين الجزائريين، إنما يكون التحليل فيه لغويا. وقد حددت كنموذج فترة ما بعد 1988، كونها تمثل مرحلة تحول هام في تاريخ الجزائر السياسي.

ككل بحث أكاديمي، وجب علي طرح وتحديد الإشكالية، وانتهيت إلى التالي: ***هل يمكن اعتبار اللغة أحد نقاط القوة أو الضعف، في يد السياسيين عموما، والسياسيون الجزائريون خصوصا؟***

عندما نذكر كلمة خطاب سياسي، نستوعب مباشرة أنه موجه إلى جمهور معين، وهذا الأخير يمثل المجتمع، وأي مجتمع على سطح الأرض، تحكمه عادات

لغوية خاصة به لأسباب تاريخية و ثقافية وعقائدية ...؛ من هذا المنطلق وجب علي الاستعانة بعلم الاجتماع اللساني (La sociolinguistique) الذي يهتم بدراسة اللغة في سياقها السوسيوثقافي (Le contexte socioculturel) .

من خلال هذه الدراسة ، أهدف إلى إظهار، إلى أي مدى يعتمد أو لا يعتمد السياسي الجزائري على اختيار اللغة المناسبة، لإيصال رسالته إلى شعب يتميز بلهجات وثقافات متنوعة، وبالتالي، هل يضع السياسيون الجزائريون عنصر اللغة ضمن إستراتيجياتهم لخوض المعركة السياسية في البلاد، وهل هذا الأداء معمول به في العالم؟

يعود سبب اختياري لهذا الموضوع، إلى أني أردت أن أبحث في موضوع الخطاب السياسي الذي بات في أيامنا هذه يلعب دورا استراتيجيا في حياة الأمم حول العالم. فظهرت نظريات ألسنية واجتماعية ونفسية تصب في إناء تقنيات تحرير الخطاب السياسي. من هذا المنطلق أردت التحقق من مدى اعتماد السياسيون الجزائريون على هذه الاستراتيجيات المعمول بها عالميا، من أجل التأثير في ألآخر، وبالتالي، تمرير الرسالة المراد تبليغها.

ارتأيت تقسيم بحثي هذا إلى مدخل وثلاثة فصول وخلاصة عامة وملحق.

المدخل عبارة عن مقدمة منهجية، تحوي ماهية علم الاجتماع اللساني وماهية علم اللهجات، وبالتالي كيف يمكن الربط بينهما للعمل على أرضية واحدة كما هو الحال بالنسبة للموضوع الذي أخوض فيه.

أما الفصل الأول، الموسوم، *"تاريخ الجزائر وعلاقته بالتركيبة السوسيوثقافية الحالية للشعب ألجزائري"*،فأهدف من خلاله إلى إظهار العلاقة الوطيدة بين التركيبة السوسيوثقافية الحالية للشعب الجزائري، والموضوع الذي

أخوض فيه. فالسبب المباشر لما يُعرف به الجزائريون في الوقت الذي نعيشه، من تنوع لغوي وثقافي، يعود للأمم والأجناس العديدة والمختلفة، التي استوطنت هذه البقعة من الأرض، وبالتالي أثرت تأثيرا بارزا في تعدد اللهجات والثقافات عند الجزائريين. لذا وجب علي القيام بتحليل معمق في تاريخ الجزائر، وتأثيره المباشر في خلق ما يتسم به هذا المجتمع اليوم من تنوع ملحوظ على الجانبين الثقافي واللغوي.

ركزت ، كذلك، في هذا الفصل، على أهم السياسات التعليمية التي اعتمدت خلال الاحتلال الفرنسي، ثم تلك التي طبقت بعد الاستقلال، مرورا بفترة الرئيس بن بلة إلى فترة الرئيس بوتفليقة، وبالتي كان لها الأثر الكبير في اصطدام دعاة الفرنسية ودعاة التعريب في الجزائر، فكل هذه السياسات التعليمية، إضافة إلى الموروث الثقافي واللغوي المتراكمة عبر الزمن، كان لها الأثر العميق في خلق التركيبة السوسيوثقافية الحالية للشعب الجزائري.

كنتيجة للفصل، أحاول تقديم وصف مفصل للتركيبة السوسيوثقافية الجزائرية، وأهم مركباتها.

الفصل الثاني المعنون *"الخطاب السياسي، ماهيته والمناهج اللغوية المعتمدة في تحليله"*.حاولت أن أرصد فيه المفاهيم العلمية التي وضعها علماء الاجتماع اللسانيين المعاصرين للخطاب السياسي، والمناهج المعتمدة في تحليله. لإبراز مدى الأهمية التي يمنحها السياسيون عبر العالم، في عصر العولمة الذي نعيشه، للخطاب السياسي. فتلك الداسات كلها تصب في وعاء تحضير الخطاب السياسي المأثر في الآخر، سواء أكان يخص داخل الأمم أو خارجها.

الفصل الثالث *" التحليل السوسيولساني للخطاب السياسي الجزائري ما بعد 1988"*. في هذا الجزء من الرسالة، حاولت جمع عينة من أهم الخطب التي قدمها

رئيس الجمهورية ، السيد عبد العزيز بوتفليقة في مختلف مناطق القطر الجزائري أثناء حملته الانتخابية لرئاسيات 1999، وعينة من الخطابات السياسية التي خاضها ممثلو الأحزاب السياسية الجزائرية، في الحملة الانتخابية الخاصة بالانتخابات التشريعية 17 ماي 2007 ، في مختلف المناطق الجزائرية، كما دعمت بحثي بخطب سياسية دينية معروفة على الصعيد الوطني، وخطب للرئيسين الراحلين هواري بومدين وبوضياف؛ من أجل تحليلها تحليلا سوسيولسانيا. كما تناول في التحليل أيضا، استمارات كنت قد وزعتها على بعض مسئولي الأحزاب السياسية بولاية تلمسان.

أما الخلاصة العامة، فهي الجزء الذي يتضمن أهم النتائج المتحصل عليها، من خلال التحليل المنهجي للخطاب السياسي الجزائري، وربطها بإشكالية الموضوع، وبالتالي الانتهاء بسرد الجواب الذي يخص الإشكالية المطروحة سالفا: **هل يعتمد السياسيون الجزائريون على استراتيجية لغوية في خطبهم السياسية، وبالتالي يربطون بينها وبين نوع التركيبة السوسيوثقافية لمواطنيهم؟**

ثم ختمت رسالتي بملحق، وهو الجزء الذي يضم قائمة من المفردات العلمية المعمول بها في علم الاجتماع اللساني باللغة الفرنسية ومقابلها في اللغة العربية، يليها مباشرة الفهرس.

منهـج البحـث

أما المنهج الذي تمحورت حوله هذه الدراسة، فإنه جاء متوافقا مع ما اقتضته المعطيات والعناصر التي تقاطعت وشكلت هذا البحث، إنه *"المنهج الوصفي التحليلي"* الذي يجنح إلى وصف التركيبة السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري، ودراسة البنية اللغوية للخطاب السياسي وتحليله تحليلا سوسيولوجيا، هذه العملية التي تنضوي تحت علم الاجتماع اللساني.

صعوبات البحث

إن الخوض في دراسة لهجية يشكل بحد ذاته، صعوبات جمة قد يواجهها أي باحث في هذا الحقل كونه خصب من جهة، والنظريات العلمية والمنهجية التي يتوجب على الباحث استعمالها صعبة الاستيعاب والتطبيق من جهة أخرى.

لعل أهم عائق واجهته هو جمع ألمادة إذ بدون عينة من الخطابات السياسية الموجهة للجمهور يستحيل القيام بالبحث الذي ارتأيت الخوض فيه. لقد بعثت العديد من الرسائل لمدير التلفزيون الجزائري، طالبة أرشيف أهم الخطب السياسية التي بثت من خلال التلفزيون الجزائري، غير أنني لم أتلقى ليومنا هذا أي رد لا بالإيجاب ولا بالسلب. بعدها، حاولت الاقتراب من مختلف ممثلي الأحزاب السياسية أثناء الحملة الانتخابية لتشريعيات 2007 ، فكانت الصدمة كبيرة وغير منتظرة على الإطلاق. فكلما قصدت أحد المكاتب على أمل طرح بعض الأسئلة المرتبطة ببحثي، قوبلت بالصد المنمق من قبل البعض، والعنيف من طرف البعض الآخر. أما من وجب علي شكرهم جزيل الشكر، فهما ممثلا حزب الانفتاح السيد رحوي عبد القادر(ولاية تلمسان)، و السيدة ممثلة حزب العمال (ولاية تلمسان) والطاقم المساعد لكليهما. وفي هذا السياق أود أن أشكر السيدة مديرة مركز التكوين المهني بالكيفان – تلمسان، السيدة بجاوي، التي ساعدتني في الحصول على خطابات السيد عبد العزيز بوتفليقة، رئيس الجمهورية (رئاسيات 1999).

إضافة إلى ذلك، واجهت صعوبات جمة في عملية الترجمة، فمجمل المصادر التي تساعد في إنجاز هذا البحث، هي باللغة الفرنسية أو باللغة الإنجليزية، خصوصا ما تعلق بالجانب النظري، المرتكز أساسا على نظريات علم الاجتماع اللساني (La sociolinguistique) ، المرتبطة بطبيعة البحث الذي

ارتأيت الخوض فيه. فعملية ترجمة المصطلحات العلمية لهذا الحقل، من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية، عملية جد صعبة، نظرا لعدم توحيد الترجمات العلمية في العالم العربي، فهناك العشرات من المقابلات لنفس المصطلح.

لقد أسهمت كل تلك العناصر في مرور وقت طويل قبل انتهائي من هذا البحث، الذي أرجو أن يعود بالفائدة على القارئ الكريم.

تلمسان في 2011/06/10

المـــــــــــــــدخـــــــــــــــل

مقدمة منهجية

علم الاجتماع اللساني، ماهيته وعلاقته بعلم اللسانيات.

يذكر "هنري لوفيغر"، الباحث اللساني الفرنسي عام 1966 ، في كتابه "اللسان والمجتمع"، التفاوت اللغوي الموجود بين الطبقات الاجتماعية المختلفة (عند الفلاحين، الموظفون، العمال، النساء، الشباب، مستخدمي المكاتب ...)، وينتهي بنتيجة مفادها أنه " لا تجدي محاولة فهم المجتمع بدءا من اللغة، بل يجدر فهم لغة هذا المجتمع وأقواله بدءا منه."[1]

تعتبر اللغة وسيلة للتعبير عن الصداقة أو العداوة، وللتعبير أيضا عن المكانة الاجتماعية التي يحتلها الفرد، والعلاقة بين الأشخاص، إضافة إلى أنها أداة لتحديد مواقف ومواضيع وأهداف وطموحات طبقة اجتماعية ما، زيادة على كونها ميدان التفاعل الواسع الذي يُمنح لكل مجموعة لسانية (Une communauté linguistique[2] .

إن التحليل السوسيولساني للخطاب السياسي الجزائري يقتضي منا الاقتراب الحذر منه، وذلك لحداثة هذا التوجه أولا، ولحساسيته الشديدة ثانيا.

---

[1]. مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق – سوريا، ط1 ، 1989، ص21

[2]. Jean Claude Chamboredon, Langue et Classes sociales, Code sociolinguistique et control sociale, éditions de Minuit, Paris 1986,p9-15.

إن مجالات وحقول علم اللهجات واسعة النطاق. لذا حاولت ربط موضوع بحثي هذا المتمثل في تحليل الخطاب السياسي الجزائري بعلم اللهجات من جهة كون هذا الأخير لا يكاد يخلو من الكلمات والعبارات والأمثال الشعبية ...، وبعلم الاجتماع اللساني (La sociolinguistique) من جهة أخرى لأن هذا العلم يرتكز في دراساته، في آن واحد وبالتوازن، على الجانب اللغوي والجانب الاجتماعي؛ وهذا المنهج هو سبيلي للخروج بالنتائج العلمية التي أصبو إليها من خلال خوضي في أعماق هذه الدراسة.

وحتى تتضح الأمور أكثر، وجب علي، منهجيا، أن أسعى لتطويق ماهية كل من علم اللهجات وعلم الاجتماع اللساني، والكشف عن علاقتهما بطبيعة هذا البحث.

1.علم اللهجات (La dialectologie)

يهتم علم اللهجات، بالتغيرات أللسانية ويرتكز أساسا على المساحة الجغرافية أو البعد[i] .ذلك أن اللهجة المنطوقة على مستوى مساحات كبيرة، تنطق في الكثير من الأحيان باختلاف طفيف أو كبير في مجالات عديدة قد تكون هذه الاختلافات فونولوجية: فالرئيس الأمريكي "كينيدي" مثلا كان ينطق "Cuber" ويقصد "Cuba" (كوبا) ، و"Vegah" ويقصد "Vigor"، في حين يلفظها مواطن من فيلاديلفيا "Cubah" و "Vigor"[ii].و نجد ذلك جليا في الجزائر أيضا، فمواطن من مدينة تلمسان يقول " مَا أَديتْشْ" بمعنى لم أستطع، وآخر من العاصمة يقول "ما قْدَرْتْشْ"، بينما آخر من وهران يقول "مَا قَديتْشْ"، وكلها تفيد نفس المعنى.

يوضح"فينريخ" (Weinreich) في مقاله ''Dialectologie and Multilingual, The New Yeddish Atla'' أن الاختلافات اللهجية قد تمس أيضا المفردات، ولهذا وضع علماء اللهجات الأطلس اللغوي لتوضيح التوزيع الجغرافي للخطوط الجغرافية التي تهمهم. تتكون الأطالس من خرائط جغرافية تحدد فيها الحدود اللغوية أين تنتشر عادات لغوية خاصة[1] .

ولئن كان علم اللهجات ينأى عن الاهتمام بالبعد الجغرافي في حد ذاته، فإنه يهتم أساسا بالتأثيرات المتبادلة الناتجة عن البعد الجغرافي وأنواع أخرى من الأبعاد يمكن أن تشكل ماهية فونولوجية معجمية ونحوية، ويكون ذلك مشروطا بالتركيب والتوزيع التزامنيين، وبالتفاعلات المتكررة والتي بمقتضاها يتم تحديد الهوية الجماعية[2].

إن الاختلافات اللغوية الكبيرة تنضوي تحت اللهجات الاجتماعية المتولدة والمتطورة في كنف سطوح جغرافية محظورة نسبيا (مثلا في المدن الكبيرة)[3].

1- Jushua A Fishman, Sociolinguistique, étude publiée en langue française par le soin de l'A.I.M.A.V, Belgique 1971, p36.

2. ibid.

3. ibid, p38

من الواضح أن اعتبارات من هذا النوع دفعت العديد من علماء اللهجات، إلى عقد أهمية علمية للعوامل الثقافية، والتربوية، والمهنية، والدينية، والعرقية، وعوامل أخرى ... ، دون الاقتصار على العامل الجغرافي لوحده، ومع ذلك فإنه من الممكن إيجاد وسط أغلبية هذه الجماعات، فئات تنتمي إلى أصول جغرافية مختلفة. إن طبيعة هذه الموضوعات قادت الباحثين في علم الاجتماع وعلم اللهجات إلى البحث على أرضية مشتركة، وقد تعزز هذا التلاقي خصوصا في السنوات الأخيرة بالنظر إلى فعل الكلام بوصفه مجموعة وليس مجرد قواعد ترتهن في وجودها إلى آلية لا تولي أهمية إلى التفاعلات اللسانية في عمقها الاجتماعي، وقد أثار هذا التداخل انتباه العديد من الباحثين في علم اللهجات، وأضحى الباحثون في علم الاجتماع اللساني، بفعل هذه الرؤية الجديدة يتبنون إستراتيجية علماء الاجتماع، التي تتمحور حول فهم سبل الاتصال كعامل جوهري للطبيعة الاجتماعية للإنسان.

إن كانت النظرية السوسيولسانية قادرة على إيجاد آليات بحثية لدراسة إمكانية للاتصال (أي القواعد التي يمتلكها متكلمو لغة ما ضمنيا والمتجلية في السلوك اللغوي لكل فرد)، فإنها تستطيع تحديد طبيعة كائن اجتماعي مكتسب ومستعمل لسجل (répértoire) من الإمكانيات الشفهية

والسلوكية[1] .

ويطمح علم الاجتماع اللساني في النهاية، إلى تجاوز النظريات البسيطة الخاصة بإمكانية الاتصال، لأن المقدرة اللسانية لكل فرد تسمح في تفردها باكتساب واستخدام سجلات متضمنة تنوعات لسانية منضدة الواحدة داخل الأخرى، بحيث تكون متوافقةمع إمكانية الاتصال البشري في وسط اجتماعي[2].

2. علم الاجتماع اللساني (La sociolinguistique)

ليست اللغة مجرد وسيلة للتواصل بين الناس، ولا حتى وسيلة للتأثر السريع، كما أنها لا تعد مجرد حامل لمضمون (porteuse d'un contenu)، بل إنها تمثل هي نفسها مضمونا. فهي وسيلة للتعبير عن الصداقة أو العداوة، وللتعبير أيضا عن المكانة الاجتماعية التي يحتلها الفرد، والعلاقة بين الأشخاص. إضافة إلى أنها أداة لتحديد مواقف، مواضيع، أهداف وطموحات طبقة اجتماعية ما، إضافة إلى ميدان التفاعل الواسع الذي يمنح لكل مجموعة لسانية (une communauté linguistique) طباعها الخاصة.

1. Joshua A Fishman, Sociolinguistique,p31.

2. Christian Baylon, Sociolinguistique, Langue et Discours, p26.

كل هذه المجموعات، حتى الأكثر تعقيدا، تحوي عددا من الأشكال اللسانية، تختلف كل واحدة عن الأخرى حسب وظائفها. في أغلب الحالات تنتمي هذه الأشكال إلى مختلف التخصصات ابتداء من مجال الوظيفة أو الاهتمام، مثل: لغة الأعمال (La langue des affaires)، لغة الشارع، لغة السياسيين ...، ولهذا تحمل مفردات وأصوات وتركيبة الجملة، عناصر لا تكون عموما مستعملة، أو أحيانا غير مفهومة من طرف كل الجماعة اللسانية، مما يمنع مستعملي أشكالا لسانية متخصصة (Les utilisateurs de variétés spécialisées) من استعمالها دائما وباستمرار. فهم مجبرون على المرور إلى أشكال لسانية أخرى عند دخولهم في علاقة مع جماعة أقل تخصصا، أو مع من تختلف تخصصاتهم. في مثل هذه الحالة، يستعمل هؤلاء أشكالا لسانية ذات الاستعمال الواسع.

داخل هذه الخطوط العريضة، فإن الانتقال من شكل لساني إلى آخر، هو الذي يشكل وظيفة سوسيولوجيا الكلام (La sociologie du language) أو علم الاجتماع اللساني (La sociolinguistique) ؛هذا العلم الذي يجتهد لتحديد من يستعمل أي شكل لساني، متى، في أي موضوع، ومع من. في هذا ألسياق يدخل بحثي هذا.

إن عالمنا اليوم مقسم إلى أجسام سياسية (des corps politiques) كل واحد منها، في القاعدة العامة، يستعمل رسميا لغة محددة، فنظن بهذا أن كل الأفراد التابعين لنفس الأمة يشكلون مجموعة

لسانية (une communautélinguistique) متجانسة ومغلقة. تأخذ اللغات الرسمية شكلا مكتوبا، وكل تفاصيلها مثبتة في أغلب الأحيان، وهذه الأخيرة هي التي يتعرف عليها الغريب عن هذه الجماعة اللسانية (هذه الأمة) أولا.

لقد ركز اللسانيون منذ أزمنة غابرة دراساتهم على أعرق اللغات الأدبية (les grandes langues littéraires)، ولم ينتبهوا إلا مؤخرا إلى الأهمية التي تمثلها البحوث الخاصة بألسنة الجماعات (les idiomes) على دراساتهم هذه. بمعنى أن اللغويين قد تنبهوا أخيرا إلى أن كل أمة لها لغة رسمية تمثلها، غير أن الواقع يعكس شيئا مهما، إنها اللغة المتداولة بين الأوساط الشعبية، والمتمثلة في اللهجات والمنطوقات، وغيرها من التنوعات اللسانية (les variétés linguistiques) التي يتداولها الأفراد في مجتمعاتهم، والمتعايشة مع اللغة الرسمية[1].

[1]. Dominique Maingueneau, Les Termes Clés de l'Analyse du Dicours ,édition du Seuil, 1996, p 18.

يتعامل علم الاجتماع اللساني مع ظواهر متنوعة:وظائف واستعمالات اللغة داخل المجتمع، التحكم في اللغة (la maitrise de la langue) ، تحليل الخطاب (l'analyse du discours)، التخطيط والتوحيد المعياري اللغويين (la planification et la standardisation linguistique) ...

لقد حدد علم الاجتماع اللساني وظيفته الأولية في وصف مختلف التنوعات الموجودة في مجموعة لسانية ما وربطها بالبنى الاجتماعية (les structures sociales)، وفي أيامنا هذه، يسعى هذا العلم عمليا إلى جمع كل ما هو دراسة لسانية داخل سياقها أو محيطها السوسيوثقافي[1] (le contexte socioculturel).

[1]. لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ترجمة: محمد يحياتين، دار القصبة للنشر2006، ص 88.

أ. **علم الاجتماع وعلم الاجتماع اللساني** (sociologie et sociolinguistique):

يضم علم الاجتماع اللساني نظرية ألسنية (une théorie linguistique) ترتكز على مبدأ "ماذا نلاحظ؟ وماذا نصف؟" ومفهوم نظامي (une conceptions systématique) للمجموعة اللسانية المتكلمة (la communauté linguistique parlante)، ويربطهما بعلم الاجتماع ونظريته المتمثلة في "من نلاحظ، داخل أي علاقات اجتماعية؟". وبهذا يتضح أن علم الاجتماع اللساني يتجه في دراساته نحو "علم الظواهر الاجتماعية"(la science des phénomènes sociaux)[1].

علم الاجتماع هو علم كل الظواهر الاجتماعية التي لم تدرس بعد بالدقة والتعمق الكافيين اللذين يجعلانها نظاما يضم مصطلحات ونظريات محددة، فهو علم يسعى إلى شمل المجتمع برمته مسطرا لنفسه منهجا يفرزه عن باقي العلوم الاجتماعية .

لا وجود لعلم اجتماع مجرد، إنما هناك علم اجتماع صحي، قانوني، سياسي، أسري، ريفي، ... فبالرغم من تشعب

[1]. لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص 90.

حقول دراساته داخل المجتمع، فالصحيح أن هناك نمط تفكير اجتماعي (un mode de pensée sociologique) خول لعلم الاجتماع منهجا مبنيا على تقنيات بحث جديدة.

ب. ماذا أخذ علم الاجتماع اللساني من علم الاجتماع؟

إن علم الاجتماع الذي يعتبره اللسانيون ، لسانيات الصراعات اللسانية (Linguistique des conflits linguistiques)، يرتكز أساسا على علم الاجتماع النقدي البنيوي (La sociologie critique et structuraliste) ونظريته القائمة على المراقبة الاجتماعية (Le control social) والهيمنة (La domination) ؛ هذا من وجهة نظر المدرسة الفرنسية. أما في الحقل الأنجلوسكسوني (anglo - saxon)، فقد ولدت الدراسة الاجتماعية للغة من علم الأنثروبولوجيا الذي يسعى إلى ضبط الكلام كما تم إنتاجه خلال التواصلات الاجتماعية (Les communications sociales)، هذه الأخيرة التي تشبك خيوط الحياة أليومية. في ضوء هذا المسار، يفضل الأنجلوسكسيون نظرية التفاعل الرمزي (L'interaction symbolique) داخل نظام. اجتماعي[1].

[1]. Cf. A .Neubert, What Is Sociolinguistics ? Three Postulates for sociolinguistic research ; in .Archivum, vol7 (nouvelle série) ; n° 2 ; 1976, p156 – 160.

إضافة إلى ما سبق، يأخذ علم الاجتماع اللساني من علم الاجتماع، مجموعة من المفاهيم (des concepts) والمناهج. إذ يعتبر علم الاجتماع كل فرد بشري بالدرجة الأولى موضوعا اجتماعيا ناتجا عن تنشئة اجتماعية (une socialisation).

كما يعد الكلام شكلا لسلوك اجتماعي ووسيلة للتواصل بين البشر وسجل (un répertoire) لتنوعات لسانية متراكبة الواحدة في الأخرى (des variétés linguistiques imbriquées)؛ كما أنه، في الوقت نفسه، نظام من الإشارات والقواعد التي تمتلكها الجماعة ووسيلة للتعبير بالنسبة للفرد. انطلاقا من هذه الازدواجية، يعتمد علم الاجتماع اللساني في دراساته على العنصر الاجتماعي في التواصل، فالمجتمع والثقافة غير حاضرين مع اللغة ولا بجانبها، لكنهما حاضران في اللغة ذاتها[1].

من هذا المنطلق، يستعين علم الاجتماع اللساني بعلم الاجتماع من خلال عدد من المفاهيم المنهجية والوصفية (des concepts méthodologiques et descriptifs) كالمعيار (La norme)، المجموعة (le groupe)، المرجع (la référence)، الدور (le rôle)، ... فاللغة جزء من المعيار، إذ هي مجموعة من المعارف التطبيقية والنظرية (des connaissances pratiques et théoriques) التي تسهل عملية التوغل داخل المجتمع.[2]

1. L. Porcher, Le Sociologique dans Le Linguiste, de quelques principes et conséquences, dans le Français dans le monde , n° 121, Hachette – Larousse, 1976,p6.

2 G. Gurvitch, La Vocation actuelle de la sociologie, PUF 1963 ; p112.

يدين علم الاجتماع اللساني بالكثير لمنهج التحقيق (la méthode d'enquete) المعتمد في علم الاجتماع. تتسم هذه الطريقة بالدراسة الواضحة المرتكزة على دقة مؤشرات النظام السوسيو إقتصادي (les indices de statut socio-économique الناتج عن بحوث سوسيولوجية عريقة.[1]

يرتكز التحقيق السوسيولوجي على عملية ثابتة تحدد فيها الأهداف والفرضيات أولا، ثم تحدد مجموعة التحقيق (la population de l'enquete)، بمعنى مجموعة العناصر التي سوف تُستجوب. بعدها يتم إعداد استمارة الأسئلة. يُعتبر التحقيق السوسيولساني (l'enquete sociolinguistique) تحقيقا سوسيولوجيا مقننا في وعاء لغوي، إذ يترجم علم الاجتماع اللساني السلوكيات الاجتماعية ويربطها بالسلوكيات اللغوية المراد دراستها[2] .

[1]L. Porcher, Le Sociologique dans Le Linguiste, de quelques principes et conséquences, dans le Français dans le monde, p9.

[2].ibid, p13.

يدرس علماء الاجتماع اللساني (les sociolinguistes) "الاستعمالات" (les usages) و"الممارسات" (les emplois)اللغوية، إلا أن الاستعمال والممارسة في هذا السياق يحملان معان جد متنوعة كل منها يمثل نظاما تحتيا مستقلا

وظائفيا. من هذا المنطلق، يكرس النظام التحتي المسمى إثنوغرافيا الكلام (l'éthnographie de la parole) لدراسة الكلام بصفته ظاهرة ثقافية (un phénomène culturel). و"الممارسة" هنا تعني استعمال الرمز أو الرموز اللغوية (codes linguistique) في أنساق ثقافية.[1]ولعل أشهر الباحثين في هذا الحقل هما : J. Gumpez في دراسته الموسومة " Language and Social Groups " عام 1971 ، و D. Hymes في دراسته الموسومة " Foundations in Sociolinguistics, An Ethnographic Approach" (أسس علم الاجتماع اللساني، مقاربة إثنوغرافية) عام 1977[2].في هذه الأعمال التي تصنف ضمن أحدث ألدراسات تعتمد الدراسات الحيوية والتفاعلية (les études dynamiques et interactionnelles) فيها على "نظرية النظام الاجتماعي (la théorie de l'ordre sociale) لصاحبها E. Goffman التي تعتمد بدورها في تحليلها على المعطيات التالية:

1. Henry et S. Moscovici, Problème de l'Analyse du Contenu, dans Langages, n° 11, septembre 1968, p39.

2ibid, p41.

عبارات أو مجموعة من العبارات (des énoncés)، مميزات المتكلم (le locuteur) والمستمع (l'auditeur)، وموضع الحوار ووظيفته المفترضة. بينما تهدف المدرسةالتغايرية (l'école variationniste) المنبثقة عن أعمال Labov في بحوثه حول موضوع اللهجة الانسانية على المستوى الواسع (La dialectologie humaine à grande échelle)، إلى مجموعة المعطيات الاحصائية التي تنتج عن تحديد الكمية (la quantifiation).[1]

بالنسبة لعلم الاجتماع اللساني الكلي (la macro-sociolinguistique) الذي يعتمد في دراساته على عدد معين من المواضيع الكبرى كازدواجية اللغة (le bilinguisme)، التخطيط أو التقييم اللغوي (la planification linguistique)، التنوع اللساني (la variété des idiomes)، ... فالمعطيات تكون عبارة عن نظم لغات محددة (des sytèmes de langue particulières) أو تنوعات متواجدة داخل نفس الجماعة. من هذا المنطلق، تصبح مهمة اللساني (le linguiste) دراسة وتحليل العلاقات الموجودة بين هذه النظم [2].

1. Christian Baylon, Sociolinguistique, Société, Langue et Discours, p36.
2. Ibid, p41

يعد علم الاجتماع اللساني ميدانا واسعا كونه يضم في محوره دراسات لغوية في نطاقها السوسيوثقافي. في هذا السياق، قسم D. Hymes البحوث السوسيولسانية إلى ثلاثة توجهات[1]:

1.الجانب الاجتماعي أهم من الجانب اللغوي :

يكون اهتمام الباحث في هذا التوجه منصبًّا على دراسات بسيطة،كعلاقة اللغة بالتعليم مثلا، ويطبقها على جماعات محدودة وقليلة العدد، مع عدم التعرض لأي من المفاهيم المنهجية أو الوصفية للجانب اللغوي. وقد اهتم في هذا السياق، العديد من النحويين أمثال Sapir وBloomfield وSovadesh بالأعمال التطبيقية لعلمهم (علم النحو)

2.الجانب الاجتماعي داخل الجانب اللغوي :

يرى الباحث في هذا التوجه أن الاشكاليات اللغوية لا يمكن تسويتها إلا بإقحام عامل التغيرات الاجتماعية (les variables sociales). فيضع اللغات الموجودة ثم يستخرج معطياته من الجماعة اللسانية نفسها، بعدها يطور مناهج جديدة تسمح بالتوصل إلى اكتشافات جديدة خاصة باللغة المدروسة. و لعل Labov هو أشهر من اختص في هذا التوجه. فانتهى بدراساته إلى نتيجة يفصل فيها العلاقة بين النظام اللغوي والتجانس اللغوي، ويذهب إلى تعريف الجماعة اللسانية la (communauté linguistique

[1]Christian Baylon, Sociolinguistique, Société, Langue et Discours, p36.

على أنها ليست مجموعة المتكلمين الذين يتحدثون بنفس الطريقة، إنما هي مجموعة المتكلمين الذين، رغم اختلاف استعمالاتهم اللغوية، إلا أنهم يتقاسمون نفس المعايير (les normes) ونفس الأحكام (les jugements). فالكلام ما هو راق وما هو منحط، وما يخص اختصاصا ما دون سواه، وما يخص فئة من المجتمع دون سواها، ... تحت كل هذه المعطيات يستطيع المستمع أو المتكلم أن يبديا نفس الأحكام ونفس المعايير اتجاه الكلام أو اللغة المستعملة أو المتلقاة داخل نفس الجماعة اللسانية .

3.أهمية الجانب الاجتماعي على حساب الجانب اللغوي:

بعكس "صيغة تصريف الكمية" (le paradigme quantitatif) لـ Labov التي ترمي إلى نظرية نحوية، يسعى الباحث هنا إلى إعادة بناء علم اللسانيات (la linguistique) ذاته، حتى يصبح هذا العلم عبارة عن نظرية لغوية داخل محورها السوسيوثقافي (le contexte socioculturel). وللحصول على فهم أعمق وأفضل للغة، يحاول اقتحام مختلف مظاهر النظام الاجتماعي في التحليل اللساني (l’analyse linguistique) بصفة منهجية ونظامية، وبالتالي إعطاء العنصر الاجتماعي الأولوية في التحليل اللساني.

إن النظرية المراد إقامتها هنا، ترمي إلى فهم الحياة الاجتماعية من خلال دراسة المبادئ التي تحكم التواصل الشفهي (la communication

بهذا، يمنح الباحث مكانة هامة لأية نظرية اجتماعية (une verbale) تسمح بتعريف المتغيرات الخارج لسانية (théorie de la société les variétés extra - linguistique)، فيستطيع من هذا المنطلق أن يستعمل نموذج التدرج الاجتماعي (la statification sociale) لصاحبه Labov ، أو التصور الماركسي (la conception marxiste) للمجتمع، وهذا للإجابة على السؤال الجوهري: ما هي عناصر المحيط الاجتماعي (les éléments du contexte sociale) التي تؤثر في عملية إنتاج وفهم لغة ما في حالات معينة[1].

1. D. Hymes, Foundations in Sociolinguistics : An Ethnographic Approach, p36.

من خلال سردنا لماهيتي علم اللهجات وعلم الاجتماع اللساني، يتضح في الأخير أنه من الممكن أن يجتمع علم اللهجات وعلم الاجتماع اللساني في أرضية واحدة، فاللهجة في حد ذاتها عنصر اجتماعي له امتدادات تاريخية وثقافية وإيثنية .

الـــــفصل الأول

تاريخ الجزائر وعلاقته بالتركيبة السوسيوثقافية الحالية للشعب الجزائري

تـمـهـيـــد

لقد سبق لي وأن أشرت إلى أن دراستي هذه مبنية على أساس تحليل سوسيولساني للخطاب السياسي ألجزائري، لذا سأعمل في هذا الفصل من الرسالة، على سرد الحقب التاريخية التي مرت بها الجزائر، وهنا، سوف أحاول إبراز السياسات التي اعتمدت وبالتالي أثرت تأثيرا بارزا على أجيال الشعب الجزائري، فأنتجت ما يتسم به هذا المجتمع اليوم، من تنوع ملحوظ على الجانبين الثقافي واللغوي.

وكون السياسيين الجزائريين أبناء رحم هذا الوطن أيضا، وجب عليهم التأقلم مع هذا الوضع من أجل إيصال رسالتهم وبدقة إلى كل شرائح هذا المجتمع رغم التنوعات اللسانية والثقافية.

كخلاصة لهذا الفصل، أسعى إلى حصر مميزات التركيبة السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري في إطار محدد، سوف أعتمده لاحقا في التحليل السوسيولساني للخطاب السياسي الجزائري.

إن عملية سرد التاريخ عبارة عن مغامرة، حسب رأيي. فالأمانة والدقة والحذر عناصر لا بد من توفرها حتى يمكن إيصال الحقائق التاريخية بصورة كاملة وأقرب إلى الحقيقة منها إلى الخيال. لذا، أحاول هنا الاقتراب الحذر من تاريخ الجزائر منذ العصور القديمة حتى أحدثها، وبالتالي، اختصار عشرين قرنا من الزمن في عدد من الصفحات قد يدفعني في هذا المقام إلى الميل إلى العموميات أكثر من التفاصيل، فعمدت بذلك إلى تقسيم تاريخ الجزائر إلى أربعة مراحل أساسية، انطلاقا من المملكة البربرية إلى الاحتلال الروماني، إلى الفتوحات الإسلامية، فالفترة العثمانية أو التركية، فمرحلة الاستعمار ألفرنسي وأخيرا مرحلة الاستقلال.

1. نبذة تاريخية عن السكان الأصليين للجزائر

لقد سال الكثير من الحبر حول قضية أصل سكان الجزائر الأوائل، أو الأصليين، وقد أثار هذه القضية المؤرخون الاستعماريون من أجل تبرير مواقف فرنسا الاستعمارية في الجزائر على أكثر من مستوى. وبتوجيه من الرسميين الفرنسيين، عمل هؤلاء المؤرخون والكتاب على تجسيد فكرة الاستعمار القديم: "فرق تسد". وفعلا نجح الاستعماريون إلى حد بعيد في مسعاهم هذا، وذلك بفضل العمل الدؤوب والتنظيم المحكم لمؤسساتهم وإطاراتهم.[1]

ومن المؤرخين الفرنسيين الاستعماريين الذين عنوا بأصل أهل شمال إفريقيا، وبحثوا فيه، هناك **"لويس رين"** (Louis rinn) ، وهو موظف سام في الإدارة الفرنسية، مهتم بالشؤون الأهلية الجزائرية، له عدة مؤلفات في هذا الشأن، مجملها يدور حول تجسيد الفكرة الاستعمارية الفرنسية على أرض الواقع سياسيا وفكريا ولغويا [2].

وانتهى عمل "رين" بخلاصة تقول: " أن أصل البربر هنديون وأوروبيون أصلا ولغة، وليس من بينهم من هو من أصل سامي إلا القليل ..."[3]

ويذهب السيد "رين" إلى أبعد من ذلك بحيث يعتبر بني هلال من جنس غير عربي، وهو ما تكذبه أبسط الشواهد المادية الكثيرة. في هذا

[1]. مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر 1976، ص84.

[2]. المصدر نفسه، ص85.

[3]. المصدر نفسه، ص88.

الصدد يقول "رين": "... حتى أن بني هلال الذين جاؤوا في العصر الإسلامي إلى شمال إفريقيا أكثرهم طورانيون وآريون..."[1]. لقد أراد "رين" من خلال قوله هذا، أن يبرز أن البربر مزيج من أمم مختلفة، شرقية وأوروبية وهندية وغيرها، لا وحدة لهم في اللغة ولا في الأصل، إنما الجامع المشترك بينهم هو الرقعة الجغرافية التي يقيمون عليها. وقد اعتمد السيد" رين" في برهانه هذا على أصل الأمة الجزائرية على العامل اللغوي دون سواه، وأهمل العوامل الحضارية الأخرى كالعادات والتقاليد والدين والعمران وغيرها من العوامل التي يمكن القياس والاستدلال بواسطتها في مسائل علمية كهذه.

ومهما يكن، فلقد اختلف الباحثون قديما وحديثا في أصل سكان شمال إفريقيا، وحتى يومنا هذا لم يُحسم الأمر بعد حول هذه القضية. فالمتقدمون من مؤرخي اليونان والعرب اعتمدوا للإدلاء بآرائهم حول هذه القضية على الرواية الشفوية والنقل على بعضهم البعض، وفي أغلب الأحيان دون تمحيص وتدقيق للأحداث قلبا وقالبا. أما المحدثون من مؤرخي الغرب فقد اعتمدوا على النظر في الجانب الفيزيولوجي للفرد الشمال إفريقي، ودراسة اللغة التي كان يستعملها، كما أنهم لم يهملوا الجانب الحضاري المادي.

أما عن قدماء المؤرخين، فتنقسم آراؤهم حول أصل البربر إلى عدة أقسام[2]:

[1] مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص82.

[2] المصدر نفسه، ص90.

- أن فريقا منهم يرى أن البربر نشئوا بالمغرب وأنهم لم يأتوا إليه وافدين من وطن آخر، ومن هؤلاء **أفلاطون** قديما و FOURNAL حديثا.

- وهناك من يذهب إلى أن البربر أصلا من بحر إيجه، أي إيجيون، هاجروا من هناك واتخذوا المغرب كموطن لهم. وأشهر القائلين بهذا القول **هيرودوث، وديودور**، وغيرهما.

- وهناك فريق ثالث يقول أن البربر ساميون، نسبهم عربي خالص، وهو قول قد يكون جادا بالنظر لكثرة الشواهد المادية التي تواجدت، وكذلك بالنظر لبعض الدراسات العلمية الحديثة الجادة، ومن المؤرخين أنصار فكرة أن البربر من أصول عربية من يستشهد بأقوال المؤرخ البيزنطي **بركبوس** الذي ادعى أن البربر من العبرانيين والبونيقيين، وقد روى في هذا السياق **الطبراني** أنهم من نسل نقشان أو نفسان بن إبراهيم عليه السلام، وهو ما يوافق تماما قول بروكوس السابق الذكر.ومنهم من روى عن بعض نسابة العرب، أن البربر من نسل النعمان بن حمير بن سبأ . ومنهم من قال أنهم أصلا من غسان، وقال آخرون أنهم من لخم وجذام. كما قيل أنهم أصلا من نسل عملاق بن لاوذ بن رام بن سام.

- وهناك من يفترض أن البربر حاميون ويرجعون نسبهم إلى مصراييم بن حام.ويذهب فريق آخر إلى انهم ينحدرون من نسل مازيغ بن كنعان بن حام.

- وهناك من يذهب إلى أنهم من فارس، من أصل سامي، كما قيل أنهم من يافت. من ذلك قول المؤرخ الروماني Salluste الذي استند أساسا إلى مصادر فينيقية غير موثوقة تقول أن الميدو الأرمن والفرس جاؤوا إلى إسبانيا مع جنود أحد الملوك اليونانيين فلما توفي هذا الأخير عبر هؤلاء الأقوام إلى إفريقيا الشمالية، وكانت عامرة بالجيتوليين والليبيين، واختلط الأرمن (ومن يافث)

بالليبيين وكذلك الميد (إخوان الفرس) فغيرت كلمة :الميد" بكلمة "المور". وتنقل الفرس في هذا الوطن فلقبوا أنفسهم "النوماد"، ومعناه الرحل. ثم استولوا على البلاد القريبة من قرطاجنة واستوطنوها فسميت "نوميديا" نسبة إليهم، وقد روى ذلك المسعودي.

- ومن المؤرخين ألقدامى وعلى رأسهم **إسترابون**، من يقول أنهم أصلا من الهند.

- وهناك من يقول أن أصل البربر خليط من أصول متعددة، ففيما يرويه **الطبري** أنهم من العمالقة وهم سامون، من نسل كنعان بن حام، وقال آخر: البربر من العمالقة وحمير ومضر وقريش (سامون)، والقبط وكنعان (حامون).

- وللرومان نظرة متعصبة جدا إزاء البربر، فبالنسبة إليهم، فإن كلمة بربر التي تكتب باللغة اللاتينية BAR-BAR، تعني الأقوام المتوحشة، الهمجية، المتخلفة التي لا مدنية لها ولا حضارة، إلى درجة أنهم يقتاتون على طريقة الحيوانات، ويأكلون العشب الأخضر واليابس. وقد اعتبر المؤرخون الرومان كل الأقوام التي لا تنتسب للحضارة الرومانية متوحشين. والغريب في الأمر أنه عندما تدنَّت حضارتهم وتقهقرت اعتبرهم الإغريق متوحشين كونهم لا ينتسبون للحضارة الإغريقية التي كانت في نظرهم أم الحضارات.

هذا عن المؤرخين القدامى، أما عن المحدثين الذين يعتمدون على الأنثروبولوجيا واللغة والحضارة المادية، فهناك من يذهب، فيما يخص الصفات الجسدية للبربر، أنه يوجد في الكثير منهم عرض الأكتاف وضيق الخصر وهي صفات قديمة موجودة بإفريقيا وبالجزائر وتونس. كما عرف بها أهل مصر القدماء والإسبان والباسك.[1]

يوجد في البربر الشقر بجبال جرجرة والأوراس والريف المغربي. وقد ادعى بعضهم أن هؤلاء من بقايا الرومان والفندال. غير أن المؤرخ الشهير **إستيفان أغسال** يفند هذا الرأي، بحيث يقول: " أنه لم يبق من هاتين الأمتين – الرومان والفندال- عدد يمكن أن يؤثر في البربر، بل الظاهر أنهم بالمغرب منذ القديم" . وقيل أنهم سكنوا هذا الوطن منذ قديم العصور ... ولهم مشابهات كثيرة – خلقا وخلقا بأمم أوروبا."[2]

"ومن حيث لون البشرة وطباعهم، يذهب بعضهم إلى أن فيهم من هم سمر اللون قصار القامة سخن الطبع. لكن هذه الصفات ليست

[1].د. عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 – 1862)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص80.

[2].مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص83.

قصرا على البربر، إنما يشترك فيها معهم عدة أقوام من أوروبا كالإسبان والإيطاليون وجنوب فرنسا وأقوام جزر كورسيكا وسردينيا."

"أما عن الجانب الحضاري المادي، فهناك من اعتمد على صناعة الفخار وبعضها من الصناعات الطينية التي تصنع في بلاد القبائل، والتي تزين ببعض النقوش والتماثيل، عن ذلك يقول **إستيفان أغسال:** وقد عثر على نظيرها في قبور مصرية يرجع تاريخها إلى نحو أربعة أو خمسة آلاف سنة قبل الميلاد.

ويقول **بيروني،** مؤكدا ما يذهب إليه **أغسال**: "ويوجد نظيرها أيضا بجزر صقيلية ومالطة[1]". ويؤكد **بيروني** أيضا أن هناك شبه كبير بين بناء المعابد في الجزائر وبناء معابد أوروبا الغربية[2].

"أما عن الجانب اللغوي، فليس هناك لقاء بين لغة البربر واللغات السامية نحوا وتصيفا، ولكن هناك تشابها بينها وبين اللغات السامية، من التركيب بلغة قدماء مصر والبوابة الحبشية والصومال ، كما أننا نجد في لغة البربر ألفاظا أوروبية أو هندية[3].

لكن، هل هذا أو سواه يبرهن برهانا قاطعا على أصل البربر، دون أي منازع؟

[1].مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص83

[2].المصدر نفسه الصفحة نفسها.

[3].المصدر نفسه، ص84.

إن طرح قضية ألهوية أو الأصل الحقيقي، والخوض في غمارها أصبح في أيامنا هذه علامة من علامات العالم الثالث. فلماذا لا تطرح مثل هذه القضايا عند اليابانيين أو الأمريكيين أو الانجليز أو الفرنسيين أو غيرهم من الأمم المتحضرة والمتقدمة؟ هل هذا يعني أن الفرنسيين أو الانجليز أو الأمريكان ... كلهم مجتمعات من جنس واحد؟ أم أنهم خليط من أمم متعددة انصهروا أخيرا في بوتقة واحدة، ضمت شملهم ووحدت فيما بينهم سياسيا وفكريا ولغويا. فالفرنسيون مثلا أمة تفوق الستين مليون نسمة، فكم هي نسبة الفرنسيين الحقيقيين بين من هم عرب ويونانيون وإيطاليون و أسبان وجرمان ومالطيون وهولنديون ...؛ لا شك أنها نسبة ضئيلة كما هو معروف. ومع ذلك فمشكلة الهوية غير مطوحة عندهم، لأن القضية لا تهمهم في شيء وهي ليست من اهتماماتهم الآنية، إنما هي من اختصاص واهتمام الأمم المتخلفة، حسب رأيي، التي بطرحها تريد خلط الأوراق والبحث عن التمويه والتمييع للقضايا الحقيقية التي تتعلق بالإقلاع الحقيقي للبلاد للخروج بها من بر إلى بر آخر تسوده الأخوة والعدالة الاجتماعية والوئام والمودة بين أفراد المجتمع. والحق أنه لا يهمنا من أين وكيف ومتى أتينا إلى أرض الجزائر، إنما الذي يهم أننا بكل شعورنا وأحاسيسنا العميقة نشعر أننا جزائريون وننتمي إلى هذه الأرض الطيبة التي ضحى من أجلها، كأمة واحدة على أرض واحدة، ملايين الشهداء. وكيفية التفكير في جزائريتنا تقتضي منا طرح سؤال آخر، أكثر أهمية وعقلانية برأيي، وهو : "ما هو انتمائنا الحضاري؟ كون الجزائر تملك إرثا ثقافيا كبيرا قل نظيره. بمعنى آخر، ما هو الخط التوجيهي لثقافتنا؟ سؤال يتوجب علي قبل الإجابة عليه، المرور عبر أهم الحقب التاريخية التي خلقت الشخصية الجزائرية الآنية وتلك التركيبة السوسيوثقافية المتميزة.

2. أهم الحقب التاريخية التي مرت بها الجزائر

أ. العهد البربري

من دون الصعود إلى غابر الأزمنة، أين تواجدت أولى الأجناس البشرية في الجزائر، نقتصر على ذكر أولى النظم السياسية البدائية، إذ شرعت القبائل في التحالفات وبالتالي في التوحدات، وبهذا بدء ظهور مملكات حقيقية، وذلك قبل أكثر من قرنين من الزمن قبل المسيحية الأولى[1].

لقد مهدت سلالة المشاهير: **ماسينيسا** (Massinissa) و **يوغورطا** (Yugurtta) و **جوبا الثاني** (Juba II) إلى ظهور إمبراطورية حقيقية، إنها الإمبراطورية النوميدية، وقد ساد التطور الكبير خاصة في الميدان الزراعي، وبالأخص زراعة الحبوب، إضافة إلى تربية المواشي[2].

كانت "سيرتا" (Cirta)، ولزمن طويل، أول عاصمة سياسية ومركزا تجاريا هاما بالنسبة للقرطاجيين والرومان، فساد الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

[1]. L'Algérie Politique, Histoire et Société, Fondation Nationale des Sciences Politiques ; Armond Colin, n° 192, p82-83.

[2]. Ibid, p 84.

بقي الحال كذلك لزمن طويل، الشيء الذي لم يرق للرومان المتسلطين، فبدأت المعركة الطويلة بين البربر المدافعين عن مملكتهم، والرومان الطامعين في خيراتهم. فكان **ماسينيسا** أول ملك بربري يقاوم السياسة الرومانية في وطنه. تلاه **يوغورطا** الذي قاوم مجلس الشيوخ الروماني وسياساته التعسفية نحو وطنه وشعبه. أما **جوبا الثاني** فقد بدا متقلبا اتجاه قرارات **قيصر**. وأخيرا نجحت سياسة روما، بعد أن تنبهت إلى أن تقسيم المملكة إلى قبائل صغيرة هو مفتاح هيمنتها المطلقة، فعملت على تنصيب على رأس كل قبيلة حاكم يمتثل ويطبق سياساتها التعسفية. وبهذا، استطاعت روما أن تفرض سيطرتها، وبدأت إدارتها تأخذ مقام النظام الملكي القديم الذي ساد المنطقة[1] . ولعل التعصب القبلي الذي عرفته المنطقة كان نتيجة لتلك السياسة الرومانية. من هنا بدئت حقبة جديدة ومظلمة عرفها أسلافنا ممن زامنوا تلك المرحلة الزمنية، كما عرفتها الأجيال التي تلتهم تحت حراب الاستعمار والأمم الطامعة في خيرات هذا البلد.

لقد روى التاريخ أن التواجد الروماني في شمال إفريقيا كان أساسه التدمير والنهب، فعرفت هذه الفترة من الزمن، انقسامات داخل المجتمع، تدمر البنى الاجتماعية، سلب الممتلكات، تفشي الفقر...، وبهذا لن تتميز بعدها إفريقيا الشمالية، الكائنة تحت السيطرة الرومانية، بالرفاهية والازدهار، بل بالفقر والبأس[2].

[1].L'Algérie Politique, Histoire et Société, p86.

[2].Ibid, p6

كانت النتيجة البديهية لهذا التعسف أن أصبحت مناطق القبائل والونشريس والصحراء مأوى للثوار البربر. فبدأ العصيان والتمرد ينتشر بين الأوساط الشعبية، فتطور ذلك إلى ضربات عسكرية أنهكت الرومان[1]. إذ ظهر قادة عظام **كتاكفاريناس** (Tacfarinas) (17-24)، و**فاركسن** (Farxen) (253-262) ، و**فيرموس** (Firmus) (373-375)، فساد بهذا جو من الغضب الشعبي العام طوال سنينا عديدة ضد الرومان. في الوقت نفسه بدأت الإمبراطورية العظمى تعرف الهزائم الواحدة تلو الأخرى على عدة جبهات من مستعمراتها القديمة، كما أن المسيحية ظهرت كديانة جديدة أربكت التركيبة السوسيولوجية الداخلية للإمبراطورية الرومانية، كل هذه العوامل أدت إلى انقسام هذه الأخيرة وبالتالي سقوطها، وستكون لاحقا إمبراطورية رومانية أخرى مركزها الشرق، إنها القسطنطينية التي ستعيد الكرة وتغزو شمال إفريقيا[2].

من خلال هذه النبذة التاريخية القصيرة عن الحقبة البربرية ، نستخلص أن العنصر البربري كان أول من استوطن الجزائر لقرون عديدة خلت، فكانت أمة متطورة لها نمط حكمها، الذي كان كما وأن ذكرنا، ملكيا، تجمعها عادات وتقاليد ولغة واحدة، وهذا ما يفسر الوجود البربري القوي في الأمة الجزائرية اليوم، هذا العنصر المتميز بلغته وعاداته وتقاليده.

1. .L'Algérie Politique, Histoire et Société, p86.

2. Ibid, p88

بـ . العهد العربي الإسلامي

لقد ترتبت عن الأحداث التي عرفتها هذه المرحلة، ثلاث ظواهر غيرت وإلى الأبد وجه المنطقة. الأولى هي الفتوحات الإسلامية العربية للمنطقة خلال القرن الثامن للميلاد[1]، حيث كانت المناطق المفتوحة والمسيطر عليها من طرف العرب محدودة. أما الثانية فكانت انتشار اللغة العربية شيئا فشيئا وبشكل سريع. والثالثة تتمثل في الانتشار الكاسح للدين الإسلامي والحامل لأثقل البدائل الثقافية والسياسية. وبهذا أصبحت المنطقة على مر السنين تشهد توسعا ثقافيا جديدا لم تكن تعرفه من قبل، إنها الثقافة العربية الإسلامية التي اكتسحت لاحقا معظم مناطق العالم ووصلت إلى أوروبا نفسها. لقد تم التصاهر بين العرب الفاتحين والبربر، كما توافدت العديد من القبائل العربية من الجزيرة العربية واستوطنت عدة مناطق في الجزائر شرقا وغربا وجنوبا، وتصاهرت هي الأخرى مع البربر. وبهذا، وعبر العصور، أصبحت الجزائر تنتمي للأمة العربية والإسلامية.

إذن كانت الفتوحات الإسلامية السبب الرئيس في وجود العنصر العربي واللغة العربية بقوة في الجزائر، إذ تقبل البربر هذا الدين وهذه اللغة عن قناعة، حتى أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة الجزائرية.

1. .L’Algérie Politique, Histoire et Société, p94.

جـ .العهد العثماني[1]

ترجع العلاقات الأولى للجزائر بالدولة العثمانية إلى نهاية العقد الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، وذلك عندما استنجد أهل الجزائر بالأخوين **خير الدين** و**عروج بربروس**، القائدان المعروفان اللذان كانا في خدمة السلطان العثماني **سليم الأول**. فوقع سكان الجزائر، في المسجد الجامع سنة 1518 وثيقة، أمام **خير الدين**، يطالبون فيها بالتدخل العثماني لرد العدوان الإسباني على شواطئ الجزائر، وعلى العاصمة نفسها. وقد احتل الأسبان عدة حصون ومدن جزائرية انتظارا لشن هجوم حاسم على العاصمة نفسها. وقد احتل الأسبان بدون جدوى المرسى الكبير سنة 1505، ووهران سنة 1509، وبجاية سنة 1510، ووضعوا تحصينات هامة تأهبا لشن هجوم حاسم على العاصمة، (ما يفسر وجود العديد من المفردات ذات الأصل الإسباني في العديد من اللهجات الجزائرية) في هذه الأثناء ظهر الأخوان خير الدين وعروج، وشرعا في عملهما العسكري ضد الأسبان والمتعاملين معهم محليا، بدخول شرشال والإستيلاء عليها سنة 1510، كما دخلوا واستولوا على جيجل سنة 1514.

[1].Mouloud Gaid, L'Algérie Sous Les Turcs, 2éme édition, Editions Mimouni, 3èmtrimestre, 1991, p46-50.

بعد رد الهجوم الإسباني على الجزائر، شرع العثمانيون في وضع النواة الأولى لإدارة محلية وقيادة عسكرية وسياسية تمثلت فيما عرف "بالأولجاق"، وهو النظام الذي بقي قائما في الجزائر حتى سنة 1830، تاريخ الاستيلاء الفرنسي على الجزائر[1].

وبعد عقود من الحكم العثماني في الجزائر، جاءت مرحلة اندثار هذا الأخير. بشكل عام، بدأ يتفشى ضعف خطير في المجال الاقتصادي، وذلك منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي. وقد تضاعف تدهور اقتصاد البلاد بشكل ملحوظ خلال الثلث الأول من نفس القرن، الشيء الذي أسهم من قريب أو بعيد في سقوط البلاد في مخالب الاستعمار الفرنسي[2].

الذي يهمنا في هذا المقام هو تفسير تواجد العنصر التركي في الأمة الجزائرية الحالية إضافة إلى العرب والبربر، فلقد ترك الأتراك آثارهم البادية على المجتمع الجزائري، من حيث اللغة والثقافة.

[1].عمار هلال،أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962)، ص15.

[2].المصدر نفسه، ص33.

د. العهد الفرنسي

يمكن حصر أسباب الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر عام 1830، والتي انتهت باحتلال البلاد، وإخضاع الشعب الجزائري للنفوذ الفرنسي، في ثلاثة عوامل هامة، نوجزها على النحو التالي[1]:

*العامل الاقتصادي:

في عام 1827، وفي تقرير تفصيلي عن الأوضاع العامة في الجزائر، وعن فائدة تنظيم الحملة العسكرية ضد الجزائر، كتب وزير الحربية الفرنسي Clermont De Tonner إلى الملك شارل العاشر يقول له: "توجد مراسي عديدة على السواحل الجزائرية الطويلة، التي يعتبر الاستيلاء عليها فائدة كبيرة لفرنسا. كما تحتوي أراضي الجزائر على مناجم غنية بالحديد والرصاص، ويتوفر فيها الملح والبارود بكمية هائلة. وتوجد في شواطئها ملاحات غنية. وإلى جانب كل هذه الثروات، توجد الكنوز المكدسة في قصر الداي، وهي تقدر بأكثر من مائة وخمسين مليون فرنك ..."

وقد أكد هذه الحقيقة التاريخية جل الرسميين، منهم وزير الحربية Gerard الذي خلف De Tonner، بحيث صرح رسميا في إحدى المناسبات:

[1].Beyoucef (A), Population du Maghreb et Communauté Economique Quatre, Paris, 1967, p262.

" إن غزو الجزائر إنما مرده إلى ضرورة بالغة الأهمية متصلا اتصالا وثيقا بحفظ النظام العام في فرنسا وأوروبا، وتلك الضرورة هي فتح آفاق للفائض من عدد سكانها، ولمبادلات منتجات مصانعنا بمنتجات أخرى غريبة عن أرضنا وعن جو بلادنا."

*العامل السياسي

في عام 1830 عمت الثروات أوروبا، وكانت نقطة انطلاقها فرنسا، التي كانت تعاني من أزمة سياسية خطيرة تمثلت في الصراع الحاد الذي نشب بين السلطة الحاكمة والليبراليين، الذين سببوا مشاكلا لشارل العاشر، وكادوا يطيحون به، فسارع الملك إلى حل مجلس النواب الذي كان يسيطر عليه الليبراليون، وأمر بتنظيم انتخابات جديدة. في خضم هذه الأحداث الخطيرة ولتحويل أنظار الفرنسيين إلى خارج حدود البلاد، اتخذ شارل العاشر من الحملة العسكرية ضد الجزائر وسيلة لحل مشاكله السياسية الداخلية، واعتبر الجزائر عشا للقرصنة، وأن القضاء عليها يعتبر انتصارا له و لنظامه الملكي. إضافة إلى كل هذا، فقد تضاعف عدد الجنود الفرنسيين المتقاعدين بشكل ملحوظ، وأضحى هؤلاء في فترات التوتر يشكلون خطرا حقيقيا على النظام الحاكم، ولإبعاد هؤلاء عن فرنسا نهائيا، لم تجد فرنسا من مكان يسعهم سوى الجزائر.

أما على المستوى الخارجي، فمعروف التنافس التقليدي بين كل من فرنسا وإنجلترا حول الاستيلاء على مناطق النفوذ في العالم، خاصة تلك الواقعة في الحوض الغربي للبحر المتوسط. ومما زاد من اهتمام فرنسا بسواحل الشمال الإفريقي، وضع إنجلترا يداها على مضيق جبل طارق. وقد اعتبرت فرنسا ذلك خطرا يهدد دوما مصالحها في المنطقة، لذلك اعتبرت فرنسا الاستيلاء على

الجزائر واتخاذها كقاعدة أمامية لحماية مصالحها في الحوض الغربي للمتوسط، مسألة لا يستعان بها.

*العامل الديني

قد تعتبر فرنسا في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، من أخطر الدول الأوروبية تعصبا للديانة المسيحية، بل تأتي مباشرة بعد الفاتيكان من ناحية التعصب للديانة المسيحية، واعتبرت نفسها حامية المسيحية، ومدافعة عنها، وباسمها تدخلت عدة مرات في إفريقيا السوداء، وشمال إفريقيا، ومن ثم اعتبرت أن تنظيم حملة عسكرية والانتصار فيها على الجزائر الإسلامية هو في الحقيقة انتصار المسيحية على الإسلام. والخطاب السياسي طوال وبعد الحملة لم ينحرف عن هذا التوجه الديني، كقول **"دوطونير"** قائد الحملة، على سبيل المثال: << لقد أرادت العناية الأهلية أن تثار حمية جلالتكم بشدة في شخص قنصلكم على يد ألد أعداء المسيحية، ... وربما يساعدنا الحظ بهذه المناسبة لتنشر المدنية بين السكان الأصليين، وندخلهم في النصرانية>>[1].

[1].صحيفة Liberté الفرنسية، الصادرة يوم 1948/01/29.

أما الجنرال **"بورمون"**، فعندما دخل القصبة تغنى بنشوة الانتصار قائلا: << مولاي لقد فتحت بهذا العمل بابا للمسيحية على شاطئ إفريقيا ورجاؤنا أن يكون ذلك بداية لازدهار الحضارة التي اندثرت في هذه البلاد>>[1]

مباشرة بعد أن بسطت فرنسا سيطرتها المطلقة على كل ربوع الجزائر، بدأت تفكر في سياسات لطمس الهوية العربية والإسلامية للشعب الجزائري، وقد نجحت في ذلك إلى حد كبير، والدليل على ذلك هيمنة اللغة الفرنسية إلى يومنا هذا، إذ أصبحت تستعمل في الحياة اليومية، في الأماكن العمومية والرسمية، حتى أصبحت تزاحم اللغة العربية.

بهذا، أضاف الاحتلال الفرنسي للجزائر، الذي دام 130 سنة، شيئا مهما إلى التركيبة السوسيوثقافية للشعب الجزائري، إنها اللغة الفرنسية التي تقف جنبا إلى جنب مع العربية والبربرية.

3.الجزائر، المعطيات التاريخية ونتائجها اللغوية:

وبما أننا قد خصصنا هذا الجزء من البحث لدراسة التركيبة السوسيوثقافية للشعب الجزائري، وجب تسليط الضوء على الجانب التاريخي للجزائر والنتائج اللغوية المتمخضة عن ذلك، أي اللغة التي استعملها الجزائريون في كل حقبة من حقب التاريخ الجزائري، من أقدمه إلى حديثه.

[1].Algérie de Demain, op.cit, p52.

1.العصور القديمة:

منذ غابر الأزمنة، مثلت الجزائر مهد الحضارة البربرية، غير أن تاريخ البلد لم يبدأ رسميا، إلا مع قدوم الفينيقيين الذين أقاموا معابر تجارية. ثم تبعهم القرطاجيون بفتح نفس المعابر التجارية مع تطوير أنشطة ساحلية مختلفة، مع ترك الداخل للبربر. كانت البونية (le punique)، وهي لغة سامية قريبة من العبرية، لغة الملوك النوميديين (les numides)، أي اللغة الرسمية ل لقرطاجة (Carthage). ونظرا للاستعمال الطويل الأمد للبونية في الجزائر، مازالت آثارها عالقة بالبربرية الآنية، خصوصا في مجال التشجير (l'arboriculture).[1]

كان الرومان، في القرن الأول قبل الميلاد، يحتلون إفريقيا الشمالية (ما يعرف بالدولة الجزائرية اليوم)، فنقلوا حضارتهم إلى السكان المحليون، غير أنهم لم يتمكنوا من تحويل البربر إلى لاتينيين، فقد فر المواري أو المور(les Mauri ou les Maures)[2] إلى الجبال متشبثين بلغتهم وتقاليدهم، فقد أظهر البربر تمردا وعصيانا دائمين . ومع ظهور الدين المسيحي لاحقا أبدوا عصيانهم وتمردهم المعهود، مع أن هذه الديانة قد اكتسحت جل شمال إفريقيا، ومع الوقت نجح البربر في تصديهم لروما وتقبل المسيحية.

[1].Asselah Rahal, Safia et Tassadit Efedene ; Environnement Graphique et Politique Linguistique en Algérie, Les Langues Dominantes Langues Dominées, Rouen, Publication des Universités de Rouen et du Hve, 2008, p254-258.

[2]. كلمة لاتينية تعني المغربي أو المسلم الاسباني.

تزامن سقوط المغرب الروماني باحتلال الوندال (les vandales) له. كان هؤلاء القوم يستعملون اللغة الجرمانية والكتابة (l'écriture gothique) واللاتينية في التشريع والدبلوماسية. لم يتعرض الوندال أبدا للبربر، كما لم يكن لهم أي تأثير على لغة البربر المتمركزين في الجبال. يجدر الذكر هنا أن تواجدهم بالمنطقة لم يكن بالكفاية التي يتطلبها التهجين العالي الدرجة (455-533). فقد طردوا سنة 533 من طرف البيزنطيين. اختفى الوندال ولم يخلفوا ورائهم أي أثر، غير أن الناجون وجدوا المأوى بين السكان البربر في القبائل وبهذه الطريقة تم اختلاطهم بالسكان الأصليون، والدليل على ذلك التركيبة المرفولوجية لسكان هذه المنطقة، إذ أن سكان القبائل يختلفون عن باقي سكان الجزائر بنسبة كبيرة لذوي البشرة الشقراء والصهباء. أما البيزنطيون، فلم يتح لهم الوقت الكافي لتنظيم صفوفهم، لأن العرب نزحوا نحو المنطقة.[1]

[1]. Asselah Rahal, Safia et Tassadit Efedene ; Environnement Graphique et Politique Linguistique en Algérie, p259

2.الفتح الإسلامي والاحتلال التركي:

غادرت الجيوش العربية الإسلامية مصر سنة 647 متجهة نحو الغرب وفتحوا كل المغرب سنة 711 بما فيها الجزائر البربرية في ذلك الوقت. عموما تقبل البربر سريعا الدين الإسلامي مع الحفاظ على لغاتهم، على الأقل السكان المتمركزين في الجبال. لزمن طويل، تعايشت اللاتينية، العربية، اللغات البربرية والبونية. وقد وجدت آثار
تدل على استعمال الكتابة اللاتينية خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر.[1]

لقد تم غرس اللغة العربية والدين الإسلامي عن طريق المساجد. بعدها شرع سكان المدن في تبني اللغة العربية تدريجيا، واعتبروها لغة مقدسة. أما سكان الجبال، فلم يتجاوبوا كثيرا مع اللغة الأجنبية الجديدة واستمروا في استعمال لغة أسلافهم. من هنا بدأ تاريخ تعريب البربر.[2]

بحلول القرن السابع عشر، أصبحت الجزائر مقاطعة ضمن الإمبراطورية العثمانية، وتحكم من طرف الداي وباياته والإنكشارية. لقد استفادت الجزائر خلال الحكم التركي من حكم ذاتي تحت سيطرة عسكرية بقيادة الداي و سيطرة الإنكشاريين الأتراك. [3]

[1]. Querdane Amar, Les Berbères et l'Arabo-islamisme en Algérie, Montréal, Edition KMSA, 2003, p63.

[2].Ibid, p121.

[3].ibid,p123.

كالوندال، رفض الأتراك التعرض والاختلاط بالسكان البربر المعربين. لمدة ثلاث قرون، لم يتعايش هؤلاء أبدا مع هؤلاء الناس الناطقون بالعربية، فقد اعتبروا أنفسهم فئة مختلفة يعيشون كأجانب بشمال إفريقيا، حتى 1830. هذا لأن الوجود التركي بالجزائر لم يكن من النوع الاستعماري. الأتراك الذين تواجدوا في الجزائر هم من كانوا يديرون شؤون البلد أو العساكر. غير أن عددا منهم، خصوصا الإنكشاريون، انتهوا بالزواج بنساء محليات، أما المواليد فقد أطلق عليهم الإسم التركي الأصل "qul oghlu" ، الذي يعني "ابن العبد". عموما بما أن الأتراك لم يسمحوا بإدماج لغتهم في المجتمع الجزائري، فإنهم سمحوا بانتشار العربية والإسلام بكثرة. لكن العربية التي ترسخت وللأبد، ليست لغة القرآن، بل العربية الجزائرية، المتأثرة بالأمازيغية، اللاتينية، والتركية. أما اللغة الرسمية أثناء هذه الفترة، فكانت اللغة التركية العثمانية. ونظرا لجهل السكان لهذه اللغة، فقد اعتمد الموظفون الأتراك على المترجمين من أجل التواصل بالأمازيغية وبالعربية الجزائرية مع عامة الناس.[1]

بمرور الوقت، تطورت لغة تجارية بين الأتراك، الجزائريون والأوروبيون، بقاعدة من المفردات الإسبانية وعناصر تركية وأشكال نحوية مستوحاة من العربية. من خلال هذه اللغة، استمدت العربية الجزائرية (الدارجة) مفرداتها الإغريقية واللاتينية، خصوصا في مجال

[1]. Querdane Amar, Les Berbères et l'Arabo-islamisme en Algérie, p92.

الملاحة، البحرية، والصيد البحري. استمرت، هذه اللغة المشتركة في الوجود بعد الاستعمار الفرنسي عام 1830. هذه الاختلافات اللغوية ساعدت في خلق تنوعات لغوية تختلف عن العربية في الشرق الأوسط، إضافة إلى البعد الجغرافي، الزمن والنسيج السوسيوثقافي.. كلها عناصر صعدت تنوع العربية الجزائرية.[1]

3.الاستعمار الفرنسي:

بدأت مرحلة الاستعمار الفرنسي في زمن شارل العاشر (Charle x) (1757 -1836). طور شارل العاشر سياسة سلطوية، دينية ومحافظة، الشيء الذي يضمن استقرار نظامه.[2]

كانت أولى محاولات غزو الجزائر بهدف فرض السلطة الملكية وتوسيع أراضيها، وكانت ابتداء من سنة 1827 .[3] وفي عام 1829، قام شارل العاشر بإصدار قرار من أجل التحضير لغزو الجزائر، متذرعا بعملية تنظيف البحر الأبيض المتوسط من القراصنة الأتراك، الذين حكموا الجزائر مدة الثلاث قرون. فأهبت فرنسا كل واتها البحرية مع موافقة القوى الأوروبية وجعل الحرب المرتقبة حربا مقدسة تحت لواء

[1]. Lassus Jean, Histoire de l'Algérie, Histoire de l'Algérie, Paris, les Productions de Paris, 1962, p450.

[2].Renaudot Françoise, L'Histoire des Français en Algérie, Editions Robert Laffont, Paris 1979, p317.

[3].ibid, p318.

الصليب من أجل إبعاد المسلمين غير المؤمنين.[1] لأجل هذه المهمة، اختار شارل العاشر الكونت لويس دو بورمو (Louis De Bourmont)، وزير الحربية ونصبه في 11 أبريل 1830 ، قائدا للحملة في إفريقيا. وقبل الصعود إلى المراكب الحربية في العشر من مايو، أدلى بخطاب فحواه ما يلي:

«La cause de la France est celle de l'humanité. Montrez-vous dignes de votre belle mission…soyez justes et humains après la victoire… Rendons la guerre moins longue et moins sanglante.. »[2]

"إن هدف فرنسا هو هدف الإنسانية. كونوا عند نبل هذه المهمة الجميلة، كونوا عادلين وإنسانيين بعد النصر...فلنجعل معا الحرب أقل زمن وأقل دموية..." فبمثل هذه الخطب الجميلة، تبرر الغزوات العسكرية.

في مايو 1830، أبحرت فرق فرنسية مكونة من 37000 عسكري و 27000 رجل بحرية على متن 675 باخرة حربية. أرست هذه الأخيرة على شبه جزيرة سيدي فرج الجزائرية يوم 14 جوان التي تبعد بنحو 25 كيلومتر عن العاصمة الجزائر. من هنا أمطر"دو بورمو"

[1]. Renaudot Françoise, L'Histoire des Français en Algérie, p318.

[2].ibid, p320.

المدينة قصفا حتى سقوطها يوم الخامس من جويلية. وكان الثمن الذي دفعته فرنسا، 48 مليون فرنك إضافة إلى سقوط 500 قتيل وما يقرب 2000 جريح. فاندفع العساكر الفرنسيين نحو المدينة بكل وحشية تاركين ورائهم قيم وشرف فرنسا. أما في فرنسا، فقد قوبل الغزو للجزائر بردود معل متفاوتة، والنتيجة كانت إسقاط الملك شارل العاشر بعد بضعة أسابيع.[1]

- قوات الاستعمار:

لقد فرض الاستعمار الفرنسي في الجزائر بالقوة، قرية بعد قرية. وفي المقابل لاقت هذه القوات مقاومة شرسة، مما أبطء عملية الاستيلاء الشامل للبلد، مقارنة بالمغرب وتونس، كمقاومة الأمير عبد القادر التي دامت 18 سنة ، وغيرها كثير. كانت الوسائل العسكرية ضد السكان الجزائريين، وحشية، والأدلة على ذلك لا تعد ولا تحصى، من بينها شهادة الكولونيل L.F de Montagnac ، الذي كان ضابطا في خلال الغزو الفرنسي للجزائر (رسالة من عسكري، 15 مارس 1843):

[1]. Renaudot Françoise, L'Histoire des Français en Algérie, p324.

‘’Toute les populations qui n’acceptent pas nos conditions doivent être rasés. Tout doit être pris, saccagé, sans distinction d’âge ni de sexe : l’herbe ne doit plus pousser ou l’armée française a mis les pieds… Voila comment il faut faire la guerre aux arabes : tuer tous les hommes jusqu’à l’âge de quinze ans, prendre toutes les femmes et les enfants, en charger les batiments, les envoyer aux iles Marquizes ou ailleurs. En un mot, anéantir tout ce qui ne rampera à nos pieds comme les chiens. »[1]

ما يعني باللغة العربية:

"يجب محو كل السكان الذين يرفضون شروطنا. يجب أخذ وسلب كل شيء، دون التمييز بين السن أو الجنس: يجب أن لا ينمو العشب الذي تقف فوقه القوات الفرنسية... هكذا تكون الحرب مع العرب: قتل الرجال حتى سن الخامسة عشرة، أخذ النساء والأطفال في باخرات وإرسالهم إلى جزر الماركيز أو غيرها. في كلمة واحدة إبادة كل ما لا يركع عند أرجلنا كالكلاب."

[1]. Renaudot Françoise, L’Histoire des Français en Algérie, p326.

- قدوم المستوطنون الأوروبيون:

بدأ المستوطنون الأوروبيون يتقاطرون على الجزائر، فتوزعوا على الأراضي التي كانت ملكا لقبائل جزائرية، بعض منها أبيدت عن بكرة أبيها، أو تم شرائها بـأبخس الأثمان.

تم تنصيب "جول فيري" (Jules Ferry[2]) وزيرا للمستوطنات (1883-1885) . كان مقتنعا بأن لفرنسا "مهمة حضارية في ما وراء البحار". كان يؤمن بأن لفرنسا خط تتثبت به: "لا يجب أن تكون فرنسا مجرد بلد حر، بل يجب أن تكون بلدا كبيرا مؤثر في كل أوروبا، وتأخذ أينما ذهبت لغتها، مبادئها، رايتها، أسلحتها، إمكاناتها ... هذه الفكرة بررت المؤسسة الاستيطانية الكبيرة لفرنسا المدعومة من طرف "جول فيري" . في12 جوان 1881 أقر وطبق "قانون الوطنية" (code de l'indigénat). في الوقت الذي وضعت فيه فرنسا قوانين ضد العرب لأجل استئصال كلمة عروبة من الجزائر، بدأت تحضر لإطلاق اسم "جول فيري" لمئات المدارس والطرقات. فاتسمت تلك القوانين بالعنصرية ولا تخدم غير الصناعة البرجوازية الفرنسية.

أظهرت الإحصائيات أن نسب السكان الأوربيين غير الفرنسيين (أسبان، إيطاليون، مالطيون...) تتزايد باستمرار، الشيء الذي أقلق

[1].Renaudot Françoise, L'Histoire des Français en Algérie, p326.

[2].Jules Ferry (1832-1893), l'un des fondateurs de l'éducation modèrne française à l'origine des grandes lois scolaires républicaines, instituant la gratuité, l'obligation et la laïcité de l'école.

السلطات الفرنسية من تغلغل تلك الجنسيات وتفوقها على الفرنسيين في الامتيازات، حتى أنها قد تفتح الأبواب لدولها الأصلية في حال ما حدثت أزمات سياسية. أنظر الجدول التالي الذي يوضح أن النسبة المهمة للسكان الأوروبيون غير الفرنسيين في الجزائر [1]:

[1]. . Hadjadj Djilali, Une Population à Dérive Dans le Monde Diplomatique, Paris, septembre 1998 p20.

نسب السكان الأوربيين غير الفرنسيين بالجزائر عبر السنين[1]

السنة	ذوي الأصل الفرنسي	فرنسيين متجنسين	مجموع الفرنسيين	أجانب	مجموع الأوربيين	نسبة الأجانب
1833	3478	-	3478	4334	7812	%55.5
1836	5485	-	5485	9076	14561	%62.3
1839	11000	-	11000	14000	25000	%56.0
1841	15497	-	15497	20230	35527	%56.9
1846	46339	-	46339	49780	96119	%51.8
1847	42274	-	42274	67126	109400	%61.5
1851	66050	-	66050	65233	131283	49.4%
1856	92738	-	92738	66544	159282	41.8%
1866	122119	-	122219	95871	218090	%43.9
1876	156365	-	156367	155072	311439	%49.8
1886	219627	-	219627	203169	422796	%48.1
1891	244000	27000	27100	226000	496000	%45.6
1896	268000	50000	318137	212000	530137	%40.0
1901	292464	71793	364257	219380	583637	%37.6
1906	300672	148748	449420	166198	615618	%27.0
1911	304592	188068	492660	189112	681772	%27.7
1921	405208	123484	528392	188774	717186	%26.3
1926	549146	70993	620139	175718	795857	%22.1

[1]. Hadjadj Djilali, Une Population à Dérive Dans le Monde Diplomatique, p24.

- المسألة التربوية:

دمجت الجزائر رسميا مع فرنسا عام 1881، وقسمت إلى ثلاث مقاطعات إدارية: الجزائر العاصمة (54861 كم^2) ، وهران (67262 كم^2) وقسنطينة (87578 كم^2) التي تضاف إليها محافظات الجنوب[1] (1981750كم^2)لاحقا. كل المناطق ألحقت لوزارة الداخلية الفرنسية، وتسير من طرف حكومة عامة. خلقت التجمعات الأوروبية الكبيرة في المدن والقرى، وبالطبع اللغة الغالبة كانت الفرنسية، فبدأت نسبة العربية تتضائل بين أوساط السكان الأصليين للجزائر. إذ حتى الإدارة كانت باللغة الفرنسية.

فيما يخص الجانب التربوي، طالب "جول فيري" إدماج المسلمين في المدارس الفرنسية، غير أن المستوطنون عارضوه، فاقتصر العرب على التردد على المدارس القرآنية باللغة العربية. وعنما اقترحت عليهم السلطات الفرنسية حق التمدرس على نفقة الحكومة، قوبلت بالرفض، ظنا منهم أنها محاولة لتنصيرهم فرفضوا بعث أبنائهم إلى المدارس الفرنسية.[2]

في الأخير، تمكن المستوطنون من السيطرة على البلد، وبالتالي فرض اللغة الفرنسية وجعلها اللغة الرسمية والوحيدة للجزائر

[1]. Renaudot Françoise, L'Histoire des Français en Algérie, p344.

[2]. ibid, p346.

الفرنسية، حتى أن قانون صدر سنة 1938 يعتبر العربية لغة أجنبية[1]. وبهذا اتسمت مرحلة الاستعمار الفرنسي، المرحلة التي طغت فيها اللغة الفرنسية. كما ظهرت لغة هجينة هي عبارة عن خليط بين الفرنسية والاسبانية والإيطالية والعربية[1].

3.الاستقلال والتعريب:

تحصلت الجزائر رسميا على استقلالها يوم 5 جويلية 1962 في جو من الحرب الأهلية والتصدي الشرس من أجل السلطة، إضافة إلى المستوطنين الذين لم يتقبلوا فقدانهم العيش الرغد الذي ألفوه. في هذه المرحلة من تاريخ الجزائر، تواجدت اللغة العربية الجزائرية، البربرية، اللغتان المستعملتان من طرف المستوطنين الأسبانية في بعض المناطق الغربية، والإيطالية في بعض المناطق الشرقية. أما اللغة العربية الكلاسيكية فكانت اللغة الغريبة التي لا يستعملها أحد. فاتسمت الجزائر الجديدة المستقلة بتنوع لغوي(une diversité linguistique) ورثتها من تاريخها. فقد استعيدت الجزائر بعناصر لغوية وثقافية سوف تلعب دورا بارزا في مستقبل البلد اللغوي. لهذا كان من الضروري رسم خطة طويلة الأمد من أجل توحيد الدولة والدين واللغة[2].

[1].Hadjadj Djilali, Une Population à la Dérive, p39.

[2].Grandguillaume Gilbert, Arabisation et Politique Linguistique au Maghreb, Edition G-P Maisonneuve et Larose, 1983, p127.

كانت تلك حقب ما قبل ألاستقلال والأثر الكبير الذي تركته على التركيبة السوسيوثقافية واللغوية الجزائرية. فبالإضافة إلى ما تراكم من لغات الأمم التي سكنت أو مرت عبر الجزائر، من أتراك وإسبان وفرنسيون وإيطاليون...إلخ، لعبت كذلك حقبة ما بعد الاستقلال دورا بارزا في التحول الكبير في للوضع السوسيوثقافي واللغوي للجزائريين. فالسياسات التربوية التي طبقت في المدارس الجزائرية، عبر سنوات ما الإستقلال، كان لها الأثر البالغ في الوضع السوسيوثقافي واللغوي للشعب الجزائري الذي أصبح يعرف اليوم بالشعب المتعدد اللغات والثقافات.

أهم السياسات التربوية المتخذة من طرف المسؤولون الجزائريون (1962 إلى 1999):

- **الرئيس بن بلة (1962-1965):**

نصب في سبتمبر عام 1962 رئيسا للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. أقر تأسيس الدولة في أكتوبر 1963، فأصبح الإسلام دين الدولة، والعربية لغة الدولة الرسمية. رفض النظام الجديد كل أشكال العربية الجزائرية (الدارجة) أو البربرية كونها تحوي مفردات أجنبية، وبالتالي هي لغات غير أصيلة. فمنذ البداية، أعلن الرئيس بن بلة انتماء الدولة الجديدة الذي يطمح إليه، ففي 14 أبريل من سنة 1962، وفي مطار تونس ردد عبارة ثلاث

مرات: "نحن عرب، نحن عرب، نحن عرب" كما ذكر عبارة "الجزائر دولة عربية ومسلمة"[1].

خلال الدخول المدرسي ،1963 أقر الرئيس بن بلة إدخال اللغة العربية في كل المدارس الابتدائية بنسبة 10 ساعات على 30 ساعة في الأسبوع، ثم التعريب الكامل للسنة الأولى ابتدائي في سنة 1964. غير أن عدم توفر مدرسي اللغة العربية الفصحى، دفع بالحكومة إلى جلب نحو 1000 مدرس لغة عربية مصري[2].

[1].Agence France Presse, l'Arabe sera la Seule Langue d'Usage en Algérie avant 1988, dans La Presse, Montréal, 18 décembre 1996.

[2].Déjeux Jean, Situation de l'Arabisation en Algérie, dans Géopolitique Africaine, éditions Albin Michel, février 1988, p99.

- **الرئيس هواري بومدين والتعريب الاجباري (1965-1978):**

بالرغم من أن الرئيس هواري بومدين ينتمي إلى أصول بربرية، إلا أنه مشبع باللغة العربية والدين الإسلامي، ويعود ذلك لتتلمذه في مدارس قرآنية في منطقة قالمة الجزائرية، ثم في مدرسة القطاني بقسنطينة، ثم في جامعة الزيتونة التونسية، فالأزهر الشريف. مما يفسر السياسات التي اتبعها من أجل نشر اللغة العربية وإرسائها حتى ترقى إلى كونها لغة الدولة الجزائرية الرسمية.[1]

رسم الرئيس في جويلية 1965 أحمد طالب الإبراهيمي، كوزير للتربية، فكانت المدرسة السبيل الوحيد لتحقيق توحيد اللغة والدين. فلم يكن ممكن أن ترقى اللهجات الجزائرية إلى لغة القرآن، تلك اللغة التي كان يتقنها الرئيس بومدين ويبهر شعبه بها، كونه الوحيد الذي كان يستعملها آن ذاك.

استفادت المدارس من كتب مدرسية ببرنامج تعليمي فعال باللغة العربية. فاعتمد على تعليم اللغة الكتابية والشفهية باستعمال تقنية الحوار البسيط من أجل تصحيح أخطاء الطفل، وهي في الحقيقة طريقة فرنسية "Frère Jaques" التي استبدلت بـ ":ملك وزينة".

[1].Benrabah Mohamed, Langue et Pouvoir en Algérie, Histoire d'un Traumatisme Linguistique, éditions Séguier, Paris 1999, p350.

كان على الطفل تعلم مجموعة من الجمل والمفردات الصحيحة حسب قواعد اللغة العربية. .كما كان على المدرسين دائما التذكير بأن اللهجة المستعملة في الحياة اليومية هي لغة منحطة لا ترقى إلى اللغة الكلاسيكية. كان الهدف من وراء ذلك هو تقديم لغة القرآن على أنها اللغة الوحيدة، وبالتالي هي المحرك الأساسي لثقافة موحدة[1].

من جهة أخرى، شرعت الدولة في تعريب الإذاعة والتلفزيون. كما بدأت تظهر الأرقام الهندية على شاشات التلفزيون[2].

في سنة 1967 شرع في تعريب السنة الثانية ابتدائي إضافة إلى خلق دفعة معربة في كلية الحقوق سنة 1968 وليسانس في التاريخ بالعربية. ثار حينها الأساتذة الفرانكفونيون، فقوبل ذلك بإصدار قانون يجبر كل الإداريين بتعلم اللغة العربية الكلاسيكية[3].

ابتداء من سنة 1970، أصبح عبد الحميد مهري أمينا عاما للتعليم الابتدائي والثانوي (1970-1977)، فكان مؤسس التعريب في الجزائر. فهو من طبق التعريب الكامل للتعليم الابتدائي والثانوي. كل المقررات كانت تشمل العالم العربي الإسلامي وماضيه الذهبي، كما دعمت بأعلام الجزائر الذين قاوموا الاستعمار ونشروا العربية والإسلام كالإبراهيمي وابن باديس...[4]. إضافة إلى كل ذلك، عربت الوثائق الرسمية والمعلقات واللافتات، كما عربت الإذاعة مما يسمح للمرأة الماكثة في البيت والفلاح... أن يتعلموا ولو القليل من اللغة العربية، عن طريق الاستماع إلى برامج إذاعية متنوعة. أخيرا، نستطيع القول أن مرحلة

[1]. Benrabah Mohamed, Langue et Pouvoir en Algérie, Histoire d'un Traumatisme Linguistique, p352.
[2].ibid, p354.
[3].ibid, p356
[4].ibid, p358.

الرئيس هواري بومدين كانت المرحلة الحاسمة التي اختارت للشعب الجزائري الهوية العربية الإسلامية.

- **الرئيس الشاذلي بن جديد (1979-1999):**

تعتبر مرحلة الرئيس الشاذلي، بن جديد مرحلة مواصلة التعريب. في عام 1986، أقر البرلمان الجزائري القانون 10-86الصادر في 19 أوت ،1986 والخاصة بإنشاء **الأكاديمية الجزائرية للغة العربية** الملزمة بالعمل على إثراء اللغة العربية وتطويرها. غير أن المشروع لم يطبق إلا بوصول الرئيس زروال لاحقا إلى سدة الحكم. فقد قوبل المشروع برفض وانتفاضة البربر والمطالبة بالعودة إلى لغة الشعب الجزائري، الأمازيغية. فاتهموا من طرف النظام بالعملاء. فأدلى الرئيس بخطاب مغزاه أن الجزائر دولة عربية مسلمة[1].

وقعت أحداث الربيع البربري عام 1980، ثم أخذ في التوسع. فالبربر لم يكونوا ضد التعريب، لكنهم كانوا يطالبون بإدماج اللغة البربرية من أجل الحفاظ على الهوية البربرية للشعب الجزائري، قوبلت بالرفض من طرف السلطات، ومن جهة أخرى ثار الطلبة الإسلاميون كون شهاداتهم العربية ليست لها قيمة، إضافة إلى عدم توفر المصادر والمراجع باللغة العربية من أجل بحوثهم

[1].Ouerdane Omar, Les Bèrbères et L'Arabo-islamisme en Algérie, p259.

ودراساتهم. فانفجرت أحداث 1988. في فبراير 1989 أصدر الرئيس مرسوما يسمح بالتعددية الحزبية في الجزائر. وفي جوان 1990 نظمت أول انتخابات تشريعية[1] .

- **الرئيس محمد بوضياف:**

لم يتسنى للرئيس الراحل بوضياف أن يحكم الجزائر إلا ستة أشهر، غير أنه أبهر الجماهير الجزائرية كونه خاطبهم بالعامية الجزائرية تارة وبالفرنسية تارة أخرى. فقد صرح أنه يجب استعمال العامية حتى يفهم الجميع الرسالة. وقبل اغتياله بقليل في 29 جوان 1992، أنشأ لجنة من أجل "تجميد" قانون تعميم استعمال اللغة العربي.

[1]. Ouerdane Omar, Les Bèrbères et L'Arabo-islamisme en Algérie, p261.

- **الرئيس لمين زروال(1994-1999):**

عرفت هذه المرحلة بالصدامات والحرب الأهلية، فلم يكن أمام الرئيس زروال سوى الإمساك بالعمود من الوسط. فأقر قانونا يمنح الطلبة الاختيار بين لغتين أجنبيتين، الفرنسية أو الانجليزية (لغة العلوم والتكنولوجيا) ومن جهة أخرى شجع حفظة القرآن عن طريق تنظيم مسابقات ومنح جوائز مالية. ونظرا لتفاقم الأوضاع الأمنية، استقال الرئيس عن منصبه قبل سنتين من انتهاء عهدته الرئاسية.

- **الرئيس عبد العزيز بوتفليقة (1999 إلى يومنا هذا):**

فيما يخص المسألة اللغوية، نستطيع القول أن الرئيس قد جعل من خطابه أكثر تفتحا، فاستعمل اللغة الفرنسية في تصريحاته سواء في الداخل أو في الخارج. فقال "..من غير المعقول دراسة العلوم الدقيقة بالعربية لمدة عشر سنوات، بينما يمكن تعلمها في سنة واحدة باللغة الإنجليزية."

‘Il est impensable d’étudier des sciences exactes pendant dix ans en arabe, alors qu’elles peuvent l’être en un an en anglais.’[1]

عموما، اتسمت عهدة الرئيس بوتفليقة، بالانفتاح على كل مكونات الهوية الجزائرية. فالعربية والأمازيغية والفرنسية هي لغات تمثل صورة لغوية لهوية واحدة.

[1]. Benrabah Mohamed, Langue et Pouvoir en Algérie, Histoire d’un Traumatisme Linguistique, p361.

خـلاصة الفصـــل

لقد سبق لي أن أشرت إلى أن الهدف المرجو من خلال هذا البحث هو تحديد الهوية السوسيوثقافية للشعب الجزائري. وفي سبيل ذلك، وجب علي سرد أهم الحقب التاريخية التي مرت بها البلاد، فكانت الترسبات التي نتجت عن كل حقبة عنصرا جديدا يدخل في تكوين الشخصية والهوية الجزائرية الآنية.

هناك من يشبه الجزائر بالقارة، والسبب في ذلك يعود أولا لشساعة مساحتها، ولاختلاف الأجناس البشرية فيها وكثرة لهجاتها الممزوجة بالفرنسية والعربية والتركية والاسبانية والإفريقية (بالنسبة للمناطق الجنوبية المتاخمة لدول إفريقية) زد على ذلك تعدد العادات والتقاليد من منطقة لأخرى.

أما ما يجمع التنوعات اللسانية العديدة بالجزائر، فهي اللغة العربية والبربرية والفرنسية.

الحقيقة أن الفرد الجزائري ظاهرة لسانية غريبة، قلما نجد مثيلها في ربوع العالم، ولعل التحولات التاريخية التي شهدتها البلاد منذ أغبر الأزمنة إلى أحدثها، والسياسات الردعية التي اتخذت، سمحت باحتكاك الجزائريين بالعديد من الأجناس تركت الأثر بارزا في رسم التركيبة السوسيوثافية الجزائرية الآنية.

الجزائري في حياته اليومية يستعمل لغة هي في الحقيقة مزيج من اللغات لا يفهمها إلا جزائري مثله، وفي كثير من الأحيان إلا من هم من أبناء منطقته، فقد يستعمل في جملة واحدة كلمة ذات أصل عربي و أخرى من البربرية، وقد تكون معها ما هي من أصل فرنسي أو إسباني أو تركي، ... إنها اللهجات

الجزائرية. حتى اللهجات العربية فقدت قواعد اللغة العربية كلها، وارتكزت على التسكين.

من هذا المنطلق أصبح دعاة هذا التيار أو ذاك يتكالبون على أحقية هذه اللغة أو تلك. ففريق يدعو إلى التعريب، وآخر يدعو إلى الأمازيغية، وآخر يدعو إلى الفرنسية، ولكل مبرراته، فهل ذلك يعني غياب قاعدة ثقافية أصلية للجزائر؟ أم أن ذلك مرده إلى تصارع ثقافات مختلفة تأصلت في الوطن؟

فاليوم، ونحن نعيش التعددية السياسية، ونخوض التجربة الديمقراطية، ما هي مبررات الخلط بين الثقافة والسياسة؟ لقد كان ذلك ساري المفعول إبان الاستعمار الفرنسي، حيث كانت النوادي الثقافية الجزائرية تتغطى تحت ستار الثقافة لتحقيق أهداف سياسية.

فسياسة فرق تسد التي تبنتها فرنسا، مازالت برأيي سارية المفعول، ولبست في أيامنا هذه ثوب الثقافة والهوية، فأصبح للشعب الجزائري حسب هذه الأيديولوجيات عدة ثقافات وعدة لغات، وبدأت الدعوة إلى تغيير أحد أهم ثوابت الدستور الجزائري، التي تنص على أن العربية هي اللغة الرسمية للشعب الجزائري، وبدأت الدعوات إلى جعل البربرية تتبوأ مكانتها، والنتيجة الحتمية هي تفريق الجزائريين إلى عرب وبربر، وفي هذه الحالة ستكون حتما العواقب وخيمة، تهدد استقرار الوطن وتضرب سيادته.

مع أن هذا المشكل لم يكن مطروحا من قبل. ففي الوقت الذي كان الاستعمار الفرنسي يسعى بكل ما أوتي من قوة إلى تدمير الهوية العربية الإسلامية للجزائريين ولم يوفق. كانت هناك في المقابل نوايا ثقافية إبان الثلاثينيات من القرن الماضي وجدت في كل ربوع الوطن، شمالا، جنوبا، شرقا، غربا. كانت جميعها تدافع عن الهوية العربية والإسلامية للشعب الجزائري،

بغض النظر عن اللغة المستعملة في الحياة اليومية. أما اليوم فقد أصبح تشجيع اللهجات واستعمالها في الأماكن الرسمية طريقة يراد بها التسييس، مع العلم أن هذا الخطر أصبح يداهم كل الأقطار العربية. والغريب في الأمر أن الشعب الجزائري من أقصاها إلى أقصاها، اتحد تحت راية العروبة والإسلام إبان فترة الاستعمار الفرنسي، فما الذي قلب الموازين اليوم؟

أما الحقيقة اللغوية التي يجب أن نتعامل معها كما هي في هذا المقام، هي أن الجزائر بلد غني بلهجاته، التي كما سبق لي و أن ذكرت، مزيج من لغات عديدة لشعوب مرت من هنا وتركت أثرها على اللسان الجزائري، وهكذا هي التركيبة السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري –هذا طبعا من الجانب اللغوي- والسؤال المطروح كأساس لهذا البحث يدور حول كيفية تعامل السياسيون الجزائريون مع هذا الوضع من أجل إيصال رسالتهم إلى أذهان وقلوب الجماهير الجزائرية مع اختلاف طبقاتهم الاجتماعية ومشاربهم الثقافية، ومستوياتهم التعليمية؟ سؤال نسعى للتوصل إلى إجابة مقنعة له في آخر هذه الرسالة.

إن التغير الاجتماعي الذي عرفته الجزائر، ألقى بظلاله على عدة مجالات، من بينها ما يهمنا في هذا المقام، ألا وهو **"التنمية السياسية"**. فما المقصود بالتغير الاجتماعي، وما أهميته في دراسة التنمية السياسية؟

قديما قال الفيلسوف الإغريقي "هيراقليطس" (Heraclitus) 465-540 ق.م أن "التغير قانون الوجود والاستقرار موت وعدم" ، ومثل لفكرة التغير بجريان الماء، فقال: "أنه من المستحيل أن ينزل الإنسان النهر الواحد مرتين، فإن مياها جديدة تأتي من حوله." ويرجع هذا كما قال "هيراقليطس" إلى أن النهر في المرة الثانية ليس هو نفسه النهر في المرة الأولى، وكذلك الأمر بالنسبة للإنسان، وفيما بين الخطوتين لا يبقى أي منهما ثابت، وإنما يتغير النهر والإنسان مهما

قصر الزمن أو طال. تلك هي الفلسفة الهيراقليطية التي تعتبر التغير قانون الوجود الإنساني[1].

[1].حسين عبد الحميد أحمد رشوان، التغير الاجتماعي والتنمية السياسية في المجتمعات النامية، دراسة في علم الاجتماع السياسي، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، 1997، ص509.

وتؤكد هذه الفلسفة أن المعايير الأخلاقية، والقيم الاجتماعية والثقافية، والنظم الاجتماعية، في أي مجتمع، تتغير جميعها عبر الزمن، حتى أن التغير والزمن يعتبران شيئا واحدا. فالزمن سياق متتابع ليس له بداية أو نهاية، والتغير هو تعاقب الاختلافات عبر الزمن في كيان قائم. يتضمن هذا التصور لعملية التغير ثلاث عناصر هامة: الاختلافات والزمن والكيان القائم، وترتبط هذه العناصر بتذبذبات التغير التي تصاحب شكل الحركة أو التفاعل[1]. أما الاختلافات، فتظهر عندما نلاحظ ما يعتري الأشياء من التغير، فهذا يعني أن اختلافات اعترت هذا الموضوع، وهكذا فإن ملاحظة هذه الاختلافات هو بداية معرفة التغير[2].

دور التغير الاجتماعي في التنمية السياسية

تعتبر السلطة ظاهرة اجتماعية، فهي تعني دور القائد في شبكة العلاقات الاجتماعية. وحيث أن الظاهرة الاجتماعية تمتاز بأنها مترابطة ومتشابكة مع غيرها من الظواهر ويؤثر بعضها في بعض ويفسر بعضها البعض، فإن العناصر المختلفة للحياة الأخلاقية والاجتماعية تشكل الدولة والأنساق والاتجاهات السياسية. فهناك علاقة بين الدين والحكومة وبين القومية أو اللغة من جهة والدولة من جهة أخرى[3].

[1].Jhon Murry, States and Morals, London 1941, p51.

[2].ibid.

[3].Presthus Robert, Men At The Top, A Study in Community Power, Oxford University Press, New York 1949, p191.

يستند النسق السياسي التمثيلي على مجموعة من القيم الاجتماعية التي توجه الدولة والعمل السياسي، وتلعب العوامل الاجتماعية دورا مؤثرا في السلوك السياسي والتنظيمات السياسية. ومن ثم فإن التغيرات الاجتماعية يصاحبها تغييرات في المظاهر السياسية والسلوك السياسي حيث تفضي في النهاية إلى التنمية السياسية[1].

تعتبر السلطة ظاهرة اجتماعية، ومن ثم فإن العوامل الاجتماعية تلعب دورا مؤثرا في السلوك السياسي والتنظيمات السياسية، ويصاحبها حراك في مراكز وأوضاع الأفراد، و يؤدي هذا إلى تغيير في توزيع السلطة وميادين ضبط التنظيمي.[2]

نستخلص مما تناولناه في هذا الفصل أن التغير الاجتماعي يمثل حقيقة واقعة نتيجة لعوامل اجتماعية وغير اجتماعية، متداخلة ومتشابكة، وأن الظاهرة السياسية تتشكل وفق تساندها مع الظواهر الاجتماعية الأخرى. فالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والعسكرية والروابط الأخرى هي التي تحدد شكل الظاهرة أو النسق السياسي. ومن ثم فإن التغير الذي يعتري البناء الاجتماعي والنظم الاجتماعية ينعكس على الظاهرة السياسية ويؤدي إلى أنساق سياسية جديدة.

[1].Jhon Murry, States An Morals, p56.

[2].Mosta Gaetano, The Rulling Class, Mac Graw Hill Book Company, New York, London 1939, p115.

لقد استبان أن التغيرات الديمغرافية تؤدي إلى إعادة توزيع السلطة وتغيير بناء النظم السياسية، وأن تغير الاختراعات والاكتشافات والانتشار الثقافي يغير من التنظيمات الحكومية. كما يؤثر التغير الذي يعتري النظم الاقتصادية تأثيرا مباشرا في شكل ظاهرة السلطة، إذ يصاحب التغير حراك اجتماعي له تأثيره على التنمية السياسية، وفي إعادة تعديل ميادين الضبط الاجتماعي وتغيير المراكز والأدوار على المستوى القومي والإقليمي.

وأخيرا، يمكننا القول أن ثمة عوامل اجتماعية وغير اجتماعية تتعرض للتغيير وهي تؤدي إلى سلسلة من التغيرات في النسق السياسي. ومن ثم فالتنمية السياسية يفسرها موضوع أكثر شمولا هو التغير الاجتماعي. ومن هذا المنطلق، تتجلى أهمية اختيار الخطاب السياسي المناسب والمؤثر، لتمرير الأفكار والأيديولوجيات السياسية. فللكلمات سحر يمكنه إقناع المتلقي أو الجمهور إن ألم السياسي بكل مميزات المجتمع الذي يتعامل معه.

الفصل الثاني

الخطاب السياسي، ماهيته والمناهج اللغوية المعتمدة في تحليله

تمهيد

سوف أعمد، من خلال هذا الفصل، إلى سرد أهم المناهج اللغوية المعتمدة في تحليل الخطاب السياسي، حتى أمهد للدراسة التحليلية للخطاب السياسي الجزائري في الفصل الثالث.

وحتى لا نحى عن الاتجاه المرسوم لهذه الدراسة بحكم الاختصاص (علم اللهجات)، وجب التذكير،هنا، أن المنهج الذي اعتمدته هو علم الاجتماع اللساني، أما ما سأسرد من مناهج، فمن باب الإثراء.

1. ماهية الخطاب السياسي

أ. مفهوم الخطاب :

إن خطاب الإنسان يلفه كثير من الغموض ما دام هذا الإنسان غامضا ويتطور بسرعة و باستمرار. منذ زمن بعيد بدأ الإنسان يستعمل عدة وسائل للخطاب بعد أن كان يستعمل فقط خطاب الإشارة. فقد تطور كثيرا فخلق وسائل كثيرة لخطابه من كلام واضح إلى كتابات و رسوم كثيرة... فالرسام مثلا يعبر عن خطابه بلوحات تشكيلية مميزة، حتى أنه أصبح يقدم عدة خطابات في لوحة واحدة وذلك بتعدد و تطور الألوان و الأشكال و جزئيات كثيرة في الفن التشكيلي.أما الكتابة فهي أيضا تقدم عدة خطابات بتعدد أشكالها ، فمثلا الكتابة المنظمة والمتقنة لا تعطي نفس خطاب كتابة غير منظمة و مبعثرة. نفس الشيء بالنسبة لكبرها و صغرها ، نوعها ولونها وشكلها...فكلما اختلفت الكتابة يختلف الخطاب.

وتبقى أهم وسيلة و أكثرها انتشارا هي وسيلة اللسان أو الكلام. فهي أول وسيلة للخطاب يستعملها الإنسان. و قد عرفت تطورا كبيرا عبر العصور المختلفة. لقد أصبح الإنسان يتفنن كثيرا عند تقديمه خطابه عبر هذه الوسيلة ، فقد طور وابتكر طرقا كثيرة يستعملها في خطابه الكلامي أو اللساني إن صح التعبير. فتراه يخاطب الآخر و هو ضاحكا أو باكيا. فرحا أو حزينا أو غير مهتم بهذا الآخر أو العكس ، و بطرق كثيرة ... إن خطاب الإنسان للآخر و هو جالس مثلا ليس هو نفسه الخطاب عندما يتغير موضعه أو موضع هذا الإنسان إلى حالة الوقوف ، أو حالة كثرة حركة اليدين ...كما تتغير مخاطبة الإنسان للآخر ووجهه إلى السماء إلى حالة المخاطبة و وجهه إلى الأرض، نفس الشيء من حالة النظر إلى اليمين إلى حالة النظر إلى اليسار..كما أن الخطاب يختلف باختلاف حجم الصوت وكثافته.هناك حالات كثيرة جدا تجعل خطاب الإنسان للآخر يتغير كثيرا بتغير وتعدد هذه الحالات المعنوية و المادية. بالإضافة إلى طريقة تقديم الخطاب، يبرز كل من سبب الخطاب و هدفه . وهنا يكمن ويكتمل فن الخطاب: السبب ، الكيفية (الطريقة) و الهدف (النتيجة). فأي إنسان يعير اهتماما كافيا لهذه الأركان الثلاثة و يأخذ بها، يمكنه أن يفهم أي خطاب يتلقاه من أي إنسان آخر، كما يمكنه أن يتفوق في أي شيء على هذا الآخر إذا لم يأخذ هذا الأخير بعين الاعتبار و الاهتمام للأركان

الثلاثة[1]. فأي خطاب (أو كلمة) ينطقه الإنسان له سبب وكيفية و هدف.. ولابد للمتلقي أن يفكك ويحلل الخطاب (أو الكلمة) تحليلا دقيقا بالأخذ بعين الاعتبار الجوانب الثلاثة : ما سبب هذا الخطاب؟ كيف مرر هذا الخطاب ؟ أي هدف يرجى تحقيقه من هذا الخطاب؟ حتى يتمكن من الرد بجواب (خطاب) يضاهي ذلك الخطاب أو يتفوق عليه ، و لابد لهذا الجواب أن يكون له سبب وكيفية وهدف[2]. نعم يوجد الكثير بل ربما الأغلبية من الناس، لا يعيرون اهتماما للأركان الثلاثة عند إنتاج و تقديم خطاباتهم ، فتراهم يلقون خطابات اعتباطية وارتجالية دون مراعاة السبب والكيفية والهدف. و هنا تكمن سذاجة هؤلاء، على عكس المهتمين الذين يحرصون على توافر الأركان الثلاثة في خطاباتهم. إن فن الخطاب و فن السياسة متلازمين ووجهان لعملة واحدة، وجهان للإنسان الناجح. فالسياسي الحاذق و المتمكن من فن الخطاب يكون نموذجا للإنسان الناجح. من ناحية أخرى، فإن من بين المفاهيم التي أثبتت جدارتها وفرضت نفسها على الحقلين الأدبي والنقدي، وباقي الحقول التي يتقاطعان معها، هناك مفهوم "الخطاب" الذي ازدهر بقوة بظهور مباحث علم اللسانيات وما تلا ذلك من تطورات منهجية ونقدية، امتدت لتشمل حقولا أخرى كعلم النفس والاجتماع وغيرها من العلوم والمعارف الخطاب

[1].christian Baylon, Xavier Mognot, La Communication, Nathane Université, 2ème édition, 1999, p282.

[2].ibid, p286.

أساسية لفهم وتحليل ومناقشة النصوص والقضايا والأفكار المطروحة، وفق ما تمليه حدود وميكانزمات التلقي والتأويل، والتفكيك والتركيب، وكذا آفاق الحوار والتواصل.

لقد جاء مصطلح الخطاب في المعاجم العربية ومنها (لسان العرب) ولم يبتعد (ابن منظور) في تحديد مفهوم الخطاب، عن دلالة الكلام ومعاييره، وهو الضبط الذي يذهب إليه كثير من علماء اللغة قديما وحديثا، وفي هذا الشأن يقول ابن منظور:« الخطاب مراجعة الكلام، وقد خاطبه مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان. أما في اللسانيات فنجد أن الخطاب يساوي الكلام، وبهذا نستطيع القول بأنه عبارة عن نتاج فردي كامل يصدر عن وعي، وإرادة، ويتصف بالاختيار الحر، وحرية الفرد الناطق تتجلى في استخدامه أنساقا للتعبير عن فكره الشخصي[1].»

لقد تحسس التراث العربي أهمية الخطاب، فإذا كان هذا الحقل الحديث اليوم قد اعتبر الجملة أصغر وحدات الخطاب، فإن الجرجاني قد لمح منذ قرون إلى هذا المعنى بقوله أن الكلام "هو المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام أو ما تضمن كلمتين بالإسناد."[2]؛ وهذا المعنى المركب له

[1].ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة من تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، 1119 كرنيش النيل، القاهرة، ج.م.ع. ص

[2].التعريفات، الجرجاني، تح إبراهيم الإبياري، مادة (كلام) ط2، دار الكتاب العربي، بيروت 1992، ص419.

دلالات هي التي يتم تبادلها بين أطراف العملية التخاطبية التواصلية، كما يؤكد على ذلك النقد العربي الحديث الذي خرج من عصور الانحطاط واحتك بالنقد الغربي في مدارسه المختلفة وبالاتجاهات الفكرية والفلسفية المواكبة لظهورها. فمن التعاريف الحديثة للخطاب أنه: "مظهر نحوي مركب من وحدات لغوية، ملفوظة أو مكتوبة، تخضع في تشكيله وفي تكوينه الداخلي لقواعد قابلة للتنميط والتعيين مما يجعله خاضعا للنوع الأدبي الذي ينتمي إليه، سرديا كان أم شعريا"[1]. فالخطاب يخضع للحقل المعرفي الذي ينتمي إليه، لذلك نجد الخطاب الأدبي والخطاب النقدي، والديني، والفلسفي، والسياسي، والأيديولوجي ...إلخ.

لقد لعبت اللسانيات والبنيوية دورا كبيرا في تحديد مفهوم الخطاب، والذي اهتم به بشكل علمي الشكلانيون الروس، الذين دعوا إلى تأسيس علم الأدب بالتركيز على الأدبية، أي ما يجعل من عمل ما أدبا. كما انتقلت اللسانيات من الاهتمام بالجملة إلى الاهتمام بالخطاب باعتباره متتالية من الجمل، ف "هاريس" وهو أول لساني حاول توسيع مجال البحث اللساني، بجعله يتعدى دراسة الجملة إلى دراسة الخطاب. فالخطاب عبارة عن ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا في مجال لساني محض[2].

[1].النص النقذي إشكالية المصطلح والخطاب، مجلة آفاق عربية، آذار 1993، بغداد، ص18.

[2].سعيد اليقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، 1988، ص17.

هناك ثلاث تحديدات للخطاب: «فهو، أولا، يعني اللغة في طور العمل، أو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معينة، وهو يعني ثانيا وحدة توازي أو تفوق الجملة، ويتكون من متتالية لها بداية ونهاية، وهوهنا مرادف للملفوظ. أما التحديد الثالث، فيتجلى في استعمال الخطاب لكل ملفوظ يتعدى الجملة منظورا إليه من وجهة قواعد تسلسل متتاليات الجمل.»[1] .

هكذا تتعدد التحديدات الخاصة بمفهوم الخطاب، فحسب معجم Hachette، فإن «مفهوم الخطاب يتحدد ككلية من العلاقات والوحدات والعمليات ... المتموضعة في المحور التركيبي للغة. والخطاب إجراء سيميوطيقي، يظهر كمجموعة من الممارسات الخطابية. فهو تطبيق لساني (ذو خصائص لسانية لفظية) وتطبيق غير لساني (ذو خصائص دالة تظهر كأصوات وحركات». [2]

وتتداخل شروط لغوية وأخرى معرفية لصياغة الخطاب كمنظومة من الكلمات والجمل من جهة، وكرسالة موجهة إلى الملتقى من جهة أخرى، إذ الخطاب «هو المجال الذي تكتسب فيه الوحدات اللغوية قيمتها الدلالية الملموسة، بعد أن كانت كيانا نظريا دالا بالقوة. فالمتكلم الباث يلجأ إلى الجهاز اللغوي لبناء المعرفة التي يريد إرسالها إلى المتلقي عبر شبكة من التراكيب

[1]. سعيد اليقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص18.

[2].Dictionnaire Résumé De La Théorie du Langage, Hachette Université, 1979, p102.

البنيوية المضبوطة في ظروف مادية معينة [1]. فالخطاب عملة واحدة ذات وجهين متلازمين ومتكاملين، الأول أنه نظام من العلامات والرموز، أي أنه يهم جانب اللغة الموظفة وطبيعتها وتراكيبها، والثاني أنه يتضمن محتوى أي مجموعة من المضامين والأفكار والأحاسيس، فهو رسالة من المرسل إلى المتلقي يهدف إلى تحقيق التأثير والتواصل.

إذا ومن خلال ما تقدم يمكننا القول أن الخطاب هو كلام مباشر أو غير مباشر، شفوي أو مكتوب، يلقى على المستمعين قصد التبليغ والتأثير، ويختلف نوع الخطاب باختلاف مضمونه والمواقف التي يلقى فيها .. ومن هنا يتحدد الخطاب، فمنه: الخطاب السياسي، الاجتماعي، الديني، العلمي، التعليمي ...إلخ

ب. الخطاب السياسي:

ثمة ضرورة ماسة تقتضي تسليط الضوء على ماهية الخطاب السياسي الحالي الذي يبتعد كثيرا وفي مجمل حالاته عن المعطى العلمي في ماهية الخطاب، وذلك من خلال بعض المفاهيم الأساسية التي باتت تشكل هذا النمط من الخطابات، والذي أضحى بحاجة إلى الدراسة والتحليل، عبر الاستعانة بالنظريات اللغوية أو اللسانية. فالخطاب هو إنجاز في الزمان والمكان، وقيامه يقتضي وجود شروط من أهمها المخاطْب والمخاطِب، وتحديد كيان

[1].محمد خلاف، الخطاب الإقناعي، مجلة دراسات أدبية ولسانية، العدد5، 1989.

الخطاب، ومكونات تعلن عن حدوثه و هي: الأصوات والمفردات والتراكيب والدلالة والتداول، وإذا تحقق كل ذلك، يكون للخطاب وجود فيزيائي، لأن اللغة ظاهرة فيزيائية، إلى جانب كونها ظاهرة اجتماعية وتعبيرية وتبليغية، وهي بنية تحكمها علاقات تعلن عن انتمائها إلى كيان لغوي متماسك عبر نسيج من الكلمات مترابطة فيما بينها ... وبهذا يكون الخطاب نظاما من العلامات الدالة ظاهرا وباطنا[1].

يعتبر الخطاب سياسيا عندما تتناوله شخصية سياسية طامحة في هدف سياسي . الخطاب السياسي ليس إلا شكلا من أشكال الخطاب، يعمل المتكلم (فردا كان أو جماعة أو حزبا) بواسطته على مواصلة تملك السلطة في الصراع السياسي، ضد أفراد أو جماعات أو أحزاب. ويركز هذا التعريف على البعد النفعي للخطاب السياسي باعتباره خطابا مرتبطا على الدوام بالسلطة كغاية، إذ يعتبر أهم الأدوات التي تلجأ إليها القوى السياسية للوصول إلى مراكز القرار والسلطة ولإضفاء المشروعية على محاولاتها. فهو حقل للتعبير عن الآراء واقتراح الأفكار والمواقف حول القضايا السياسية من قبيل شكل الحكم كالديمقراطية واقتسام السلطة والفصل بين أنواعها، أو الركون للإنسجام مع مشروع مجتمعي ما.

[1].أحمد مظهر سعدو، في الخطاب السياسي العربي، مجلة ديوان العرب، 2009، ص50.

ويعتبر الخطاب السياسي خطابا إقناعيا يهدف إلى حمل المخاطب على القبول والتسليم بصدق الدعوى عن طريق توظيف حجج وبراهين[1].

يحضر مصطلح "الخطاب السياسي"، بشكل عام، في معظم البحوث التي تشتغل بقراءة الواقع السياسي وملفوظاته وتشكيلاته واختلافاته، إما داخل نسق واحد أو في أنساق مختلفة ومتضادة، سواء كانت هذه الملفوظات مكتوبة أو شفاهية. ويعرف الخطاب السياسي بكونه شكلا للتخاطب بالواسطة، يسعى عن طريقه متكلم ما (فرد، أو جماعة، أو حزب، ... إلخ)، للظفر بالسلطة عبر خوض صراع سياسي ضد أفراد، أو جماعات، أو أحزاب أخرى. وهكذا يتضح لنا، من خلال هذا التعريف التقريبي، البعد البراغماتي الذي يوجد دائما خلف أي خطاب سياسي، فالخطاب السياسي يرتبط عادة بخطاب السلطة والمعارضة، وله صلة وثيقة بها، فهو أحد أكثر الأدوات أهمية من بين تلك التي توظفها القوى السياسية في سعيها المشروع للحصول على السلطة. إن الحصول على هذه الأخيرة، يشكل بالدرجة الأولى قضية خطابية، وشرعية الوصول إليها وحيازتها بالنسبة لجماعة سياسية، هو نتيجة نشاط خطابي متسع المدى، يجري تحت أشكال مختلفة بأهداف مختلفة.

[1].Fagen, Politics and Communication, Little Brown, 1966, p249.

وعن طريق استعمال قنوات اتصال جد متنوعة. لذلك نلاحظ ذلك الانشغال البالغ لدى الجماعات السياسية بمسألة البحث عن أشكال خطابية تكون قادرة على التأثير العميق والمقنع للجمهور المتلقي.[1]

تعد اللغة إحدى أدوات الخطاب السياسي، التي من خلالها تفرض السياسة سلطتها، لذا تُعد لغة الخطاب فنا وعلما، يندرج تحتها مصطلح «التلطيف السياسي»، ومصطلح «لائق سياسياً»، ومصطلحات سياسية أخرى، تفنن الغرب في صياغتها وابتكارها بلا منازع، فتلقفتها عنه لغة السياسة والصحافة العربية حتى اصطبغت بصبغته التي نسمعها اليوم.[2]

[1].قسطنطين سلافاترو، منطق السلطة وديناميةالخطاب السياسي، ترجمة عبد الإله بوحمالة، مجلة الحوار المتمدن، العدد 630، ص36.

[2].علم الاجتماع السياسي، فيليب برو، ترجمة د.محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص25.

وأضاف "الحارثي" أن لغة السياسة ليست رومانسية، كما في لغة الأدب ولا دقيقة كما في لغة الاقتصاد، بل موجهة بالهدف، فلا صداقات دائمة ولا عداوات دائمة فيها، مشيراً إلى أنه اشتهرت العديد من المصطلحات السياسية التي تهدف إلى أغراض من التلطيف ومنها التحايل باللفظ في حين يسمعها المواطن على أنه من مصلحته ولكنه أخفى بداخلها هدفا آخر.[1]

السياسة ممارسة يومية يقوم بها أفراد المجتمع بمختلف شرائحهم، إلا أن أكثر من برز منهم وأصبح من تم صانع القرار، ينحدر من نخبه السياسيين. ولو أردنا تأصيل اللفظ لغوياً فهو في العربية كما جاء في لسان العرب: من السَّوْسُ أي الرِّياسَةُ، والسِّياسةُ: الترويض والتذليل، ومنها يَسُوسُ الدوابَّ إِذا قام عليها وروضَها، وفي الانجليزية "politics" هي علم السياسة، أو السياسة ذاتها، أو الآراء، أو المناورات، أو الميول السياسية للمرء وكل تلك المعاني، أما "policy" فمن معانيها ذات الصلة: حكمة وسياسة ودهاء سياسي، وكثيراً ما يُخلط بين هذين المفهومين، وأصل اللفظ الأول في الانجليزية من الإغريقية من "politic"، وتعني "علم الدولة" ومن أحد عناوين كتب أرسطو حول الدولة وإدارة شؤونها المسمى "ta politika" أي "شؤون الدولة".

[1].أحمد مظهر سعدو، في الخطاب السياسي العربي، ص52.

[2]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

*مميزات لغة الخطاب السياسي

بم تتميز لغة الخطاب السياسي عن غيرها من اللغات؟

تعد اللغة إحدى أدوات الخطاب السياسي التي من خلالها تفرض السياسة سلطتها، وفي هذا الشأن يقول "لافكوف"[1]: السياسة هي اللغة واللغة هي السياسة، ولأن اللغة حمالة أوجه، فإنه يغلب عليها مذهب "الميكافيلية"، وهي كما يرى بعض النقاد ليست انعكاسا صادقا للحقيقة إلا أن بعض علماء الاجتماع، مثل: "برجر" و"لكمان يريان" أن للغة دور في تكوين "الحقيقة الاجتماعية"، لذا قيل بأن لغة السياسة ليست رومانسية، كما في لغة الأدب ولا دقيقة كما في لغة الاقتصاد، بل موجهة بالهدف، فلا صداقات دائمة ولا عداوات دائمة [2].

[1].أحمد مظهر سعدو، في الخطاب السياسي العربي، ص54.

[2].د.محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005، ص40.

*التلطيف السياسي

كثيراً ما تلازم أقوال وتصريحات السياسيين والقادة ظاهرة تعرف ب "لطف التعبير في القول"، ماذا يعني هذا؟ إن المقصود هنا "الترفق في اللفظ مع موفور الحيلة والفطنة وسرعة البديهة"، وهو المصطلح الذي يعرف في الغرب ب "euphemism"، وللطف السياسي وظيفتان اجتماعيتان، الأولى وظيفة إخفاء، والثانية وظيفة إقناع، والأولى يقصد بها إخفاء الحقيقة، وذلك للتخفيف من وطأة القول الفظ على السامع، أو لتنفيذ أجندة سياسية من دون إثارة المشاعر أو الرفض أو لكسب التأييد، أو ليحمي الساسة أنفسهم من طائلة الملاحقة، نتيجة لاتخاذ قرارات سياسية خاطئة، أو ليتركوا الباب مفتوحاً لاحتمال تعدد التفسيرات، ليجعلوا لأنفسهم خط رجعة متى شاؤوا، والعامة تجدهم يسمون الأشياء بغير أسمائها ليصفوا ويتعايشوا مع الواقع كما يطلق في الولايات المتحدة الأمريكية على المتسللين من المكسيك وأمريكا الوسطى لفظ "الظهور المبلولة" wet backs لوصف المهاجرين من المكسيك إلى الولايات المتحدة، وأصله من المخالفين لنظام الإقامة[1]، كناية عن تسلل جماعات إلى البلاد بطرق غير مشروعة والتي غلب عليها فعل السباحة عبر نهر ريوجراندي.[1]

[1]. د.محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال،ص 43.

* وماذا يعني مصطلح "لائق سياسياً"؟

يعد هذا المصطلح من أكثر المصطلحات السياسية إثارة للجدل في أمريكا "politically correct"، وقد ظهر هذا المصطلح في القرن ال في تعليقات "جيمس ولسون" أحد مؤسسي الولايات المتحدة الذين وقعوا على استقلال البلاد، وأحد الذين صاغوا الدستور الأمريكي، إلا أن المصطلح لم يكن له مفهوم اليوم الذي يرى أن اللغة والأفكار والسياسات والسلوك هي منطلقات للسياسي، يجب أن تعمل على الحد من الإساءات المقننة للآخر سواء في السياقات الثقافية والعرقية، أو مختلف سياقات الحياة الأخرى، إلا أن اليمين في أمريكا جعل للمصطلح تضمينات تنم عن ازدراء الآخر وذلك في التسعينات من القرن الماضي. [1]

[1]. د.محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ص43.

*ابتكار المصطلحات

هل يمكن القول، إذاً أن صياغة وابتكار المصطلح السياسي اليوم هو صناعة غربية بلا منازع؟ وما أشهر المصطلحات الغربية التي باتت تمثل جزءاً كبيراً من لغة الخطاب السياسي العربي؟.

هذا صحيح، فـ «لقد أصبحت لغة الخطاب السياسي وأدبيات السياسة العربية استعارات معنى "calque" مع إجراء بعض التكييف الثقافي للفظ، مثل "أذابت الجليد" من " كسر الجليد"، ويلحظ أثر البيئة عند انتقال المعنى، وهناك المئات منها كما في المفردات أحادية اللفظ مثل:"تعددية، وتكنوقراط، ورأسمالية، وفدرالية، ولبرالية، والعولمة" أو عبارات مثل:" فرق تسد، وسياسة الخطوة خطوة، وتمشيط المنطقة، وسياسة الأرض المحروقة، وسياسة الاحتواء، والغزل السياسي، وجسر الهوة، وسياسة الإغراق، والعالم الثالث ...) الخ». [1]

[1].فهمي هويدي، مصطلحات الخطاب السياسي حيث تتحول إلى فخاخ وكمائن، مجلة المجلة، الرياض، العدد 1067، يوليو 2000، ص31.

*معنى التلطيف السياسي ومصطلحاته الرائجة

وما أبرز صور مصطلح "التلطيف السياسي" عالمياً وعربياً؟

لعل من أبرزها ما أقدم عليه "هتلر"، بما عرف ب "الحل النهائي"، وهي الخطة التي انتهجها الرايخ الثالث للتخلص من اليهود كما زعم، وظهر في الستينيات من القرن المنصرم إبان حرب فيتنام مصطلح " collateral damage" على ألسنة الساسة الأمريكيين، التي تقابلها في العربية "الأضرار الجانبية"، وتشمل الأضرار التي تقع على الممتلكات والأفراد في المعارك، بما في ذلك القتلى، وهو في العربية ليس ترجمة وإنما من استعارات المعنى الحديثة، وأما قواميس لغة السياسة العربية تحفل بكثير من ألفاظ "التلطف في القول" منها ما هو عربي، ففي الستينات من القرن الماضي وبينما تخسر الجيوش العربية معركتها مع إسرائيل، يصر مذيع صوت العرب الشهير آنذاك "أحمد سعيد" على إيهام الجماهير العربية بأن الجيوش العربية على وشك أن تدك أسوار القدس، لتخرج الصحف العربية بعد أن انقشع غبار المعركة، وتطلق على تلك الهزيمة المهينة " النكسة "، ويتردد اللفظ في أروقة جامعة الدول العربية تخفيفاً من وطأة لفظ "الهزيمة" التي يأباها العربي ، كما أسهمت استعارة مصطلح "التلطف في القول" في تشكيل الخطاب السياسي العربي وزخرت قواميس السياسة العربية، ولغة الإعلام بكثير من المصطلحات والألفاظ، فاستعارت العربية واستخدمت لوصف "القتل الجماعي" لفظ "تصفية" من

"liquidation"، وتأصيل اللفظ يرجعه إلى عام 1925م، حين تبنت حكومة الاتحاد السوفيتي سابقاً، خطة هدفت إلى التخلص من المعادين للحزب الاشتراكي السوفيتي، ومن ذلك أيضاً ما ظهر في أواخر القرن العشرين، وهو مصطلح "التطهير العرقي" "ethnic cleaning" في حرب البوسنة والهرسك، وكذلك مصطلح "سياسة الاحتواء" أحد مظاهر الحرب الباردة containment policy تلك السياسة التي ظهرت لاحتواء المد الشيوعي بإتباع إستراتيجيات سياسية واقتصادية وعسكرية، من قبل الولايات المتحدة الأمريكية. [1]

[1].فهمي هويدي، مصطلحات الخطاب السياسي حيث تتحول إلى فخاخ وكمائن، ص33.

*تلاقح اللغات

أليس للتلطف السياسي بعداً زمنياً يختلف باختلاف الفترة الزمنية؟ كيف غابت لغة السياسة العربية "الخاصة" عن هذا المشهد؟

في الخمسينيات من القرن العشرين وصف الرئيس الأمريكي ترومان Truman الحرب الكورية بالعمل البوليسي "police action"، وفي الستينيات والسبعينيات سميت حرب فيتنام صراع فيتنام "Vietnam conflict"، وفي 1983م سمى غزو أمريكا لجزيرة جرينادا بمهمة إنقاذ "rescue mission" وغزوها، بينما أطلقت عليه عملية القضية العادلة "operation just cause"، ثم في بداية حربها على العراق في مارس 2003م أطلق عليها بوش اسم عملية حرية العراق " operation Iraqi freedom"."[1]

وصحيح أن لغة السياسة والصحافة العربية مازالت تتلقف مصطلحات اللغة الغربية، إلا أن لغة السياسة العربية، هي الأخرى، ليست غائبة عن مشهد تلاقح المصطلح بين اللغات، وإن لم يفرضه تقدم في الفكر والحراك السياسي، بقدر ما هو نتيجة مباشرة للفوضى السياسية التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط، ومن أبرز ألفاظ "التلطف في القول" التي انتقلت من العربية إلى الإنجليزية وبعض لغات الهند وأوربا وغيرها.

[1]. .فهمي هويدي، مصطلحات الخطاب السياسي حيث تتحول إلى فخاخ وكمائن، ص38.

هناك لفظ الانتفاضة "intifada" وهدنة "Hudna" اللتين أصبحتا من مفردات السياسة الغربية، وفي اللفظ الأول من الترفق ما قد يوحي بخروجه عن سياقه ودلالاته الواقعية، فالمصطلح وصف ثورة أهالي الضفة الغربية وغزة، التي انطلقت أواخر عام 1987م ، «وأصل المعنى اللغوي هو ما استخدمه "أبو صخر الهذلي" حين قال:

وإني لتعروني لذكراك هزَّةٌ كما انتفضَ العصفورُ بلَّلهُ القَطرُ»[1]

والغاية من إطلاق لفظ "انتفاضة" على الثورة الفلسطينية، وعلى الرغم من التلطف السياسي المتضمن، واتساق دلالات اللفظ، إلا أنه ليس للتخفيف من وطأة القول، وإنما على التعظيم للحدث لتنقله من انتفاضة عصفور أبو صخر الهذلي إلى انتفاضة الأسد الهصور، والعرب تفعل ذلك ومنه التحقير، والتصغير للتعظيم، والتقليل للتكثير وما إلى ذلك.»[2]

[1]. .فهمي هويدي، مصطلحات الخطاب السياسي حيث تتحول إلى فخاخ وكمائن، ص45.

[2].المصدر نفسه، ص52.

جـ . الخطاب السياسي العربي

*الخطاب السياسي العربي بين الأمس واليوم.

يحمل أي خطاب سياسي معاني ومضامين تعبر عن آراء وتصورات وتوجهات معينة ترتبط بشكل رئيسي بالحياة الاجتماعية. بل إنه يعتبر حلقة وصل بين الحاكم والمحكوم إذا كان موجهاً للداخل أو بين الحكومة/الدولة والعالم الخارجي فيما يتعلق بالشأن الخارجي. «لذلك عندما يترجل السياسي ويخاطب الأمة والعالم من حوله فهو لا يعبر عن آراء شخصية بحتة بقدر ما هي تصورات رسمية لما يدور حوله من أحداث وكيفية فهمة لها. وغالباً ما ينعكس ذلك من خلال ما تتخذه الحكومة من قرارات تسعى إلى تنفيذها بالوسائل الممكنة، أي سياسة الدولة العامة أو سياستها الخارجية. من هنا نستطيع القول بان الخطاب السياسي يجب أن يكون مرتبطاً بالواقع السياسي والاجتماعي المعاش. أي أنه يرتبط بالممارسة السياسية أو الفعل السياسي، الذي يتمحور حول إدارة شؤون المجتمع من خلال علاقة السلطة الإلزامية فيما يتعلق بقيم وعوائد المجتمع، كي يحصل على الشرعية المطلوبة»[1].

[1].روبرت. أ. دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة د. علا أبو زيد، مراجعة د. علي الدين هلال، الناشر مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1993، ص22.

بالعودة إلى الخطاب السياسي في العالم العربي نجد أنه تأثر في مراحل معينة من تطوره بالاستقطاب السياسي الذي شهدته الساحة العربية. فمنذ منتصف الخمسينات وحتى مطلع السبعينات من القرن المنصرم كان العالم العربي يعاني بشكل مزمن من تأزم سياسي بين الأنظمة الثورية القومية والأنظمة المحافظة. كما أن الاختراق الخارجي المتمثل بنشأة إسرائيل ومحاولة القوى العظمى حماية مصالحها في المنطقة كان له دور كبير في تطور وبلورة التداعيات والتطورات السياسية في النظام الإقليمي العربي. حيث يمكن القول بأن المد القومي سيطر في هذه الفترة على الخطاب السياسي العربي، وتعبيراً عن هذه السيطرة أصبح الخطاب شعارا، ثورياً وتعبوياً بشكل كبير لأنه موجه إلى وجدان الشعوب أكثر من كونه موجهاً إلى عقولها[1]. "كما أنه ارتبط بشخص القائد أو الزعيم أكثر من ارتباطه بمؤسسات الدولة وواقعها السياسي. ولعل الخطاب السياسي القومي بدأ يخفت بريقه بعد أن انطفأت القناديل الثورية في الوقت الراهن، حيث أصبح الخطاب القطري الوطني يحل محله من ناحية ومع تزايد تأثير التيار السياسي الديني أصبح الخطاب الجهادي الإسلامي حاضراً على الساحة من ناحية أخرى. يمكن القول هنا إن تقهقر الخطاب السياسي القومي كان نتيجة الصدمات التي تعرض لها النظام العربي بدءاً من حرب 1967م، ورحيل جمال عبد الناصر عام 1970 و تخلي مصر عن دورها

[1]. روبرت. أ. دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة د. علا أبو زيد، مراجعة د. علي الدين هلال، ص23.

القيادي الإقليمي تدريجياً مما أحدث نوعاً من الانكفاء الداخلي لسياسات الدول العربية[1]. الآن يمكن القول إن معظم القادة والسياسيين العرب يحاولون التركيز على القضايا الوطنية نتيجة قلة الإنجازات على الصعيد القومي من ناحية ونتيجة سيطرة السياسة الواقعية على السياسة الخارجية العربية"[1]. «قلة هم الذين يتمسكون بالمفردات القومية الثورية. إذ يمكن إيراد خطاب الرئيس السوري بعيد وقف العدوان الإسرائيلي على لبنان في عداد الخطابات الثورية لأنه كان تعبوياً وابتعد عن الواقعية السياسية بل تميز بقدر من المثالية والنظرية التي يغلفها الطابع الثوري القومي. ويمكن القول إن ذلك يعكس العزلة التي يعانيها النظام السوري سواءً في محيطه الإقليمي أو الدولي، وذلك على غرار ما هو سائد الآن من توجه خطابي سياسي يركز على المهادنة والميل إلى النزعة السلمية والاعتراف بالواقع العربي المر. حيث غابت مصطلحات الثورة والتحرير لتحل محلها مسائل السلام والشرعية الدولية فيما يتعلق بالقضايا الإقليمية. أما الخطاب الموجه إلى الداخل فيمكن القول بأنه يحاول أن يركز على أمور التنمية والاستقرار والبناء. في اعتقادي، يرجع السبب في ذلك إلى أمرين، الأول، أن الأنظمة في الوطن العربي عموماً أصبحت أكثر اطمئناناً على علاقتها بشعوبها عما كان عليه الوضع في الستينات حيث شهدت بعض الأنظمة الحاكمة في المنطقة الكثير من الانقلابات والتحديات السياسية الداخلية.

[1].أحمد مظهر سعدو، في الخطاب السياسي العربي، ص56.

كما أن ضعف العمل العربي-العربي المشترك، والصدمات العنيفة التي تعرض لها النظام الإقليمي العربي، نتيجة الحروب الإقليمية، وأيضاً التدخل الخارجي السافر بعد نهاية الحرب الباردة، وما حدث من تغيرات بنيوية في النظام الدولي وتحوله إلى أحادي القطبية وانفراد الولايات المتحدة بريادة السياسة الدولية مما أضعف من مكانة الدول الإقليمية وقلل من أهميتها في نظام الأحلاف على المستوى الدولي. جميع هذه العوامل أدت إلى تغير في الخطاب السياسي العربي، رغم عدم المصداقية التي يكنها الشارع العربي تجاه مضامينه نظراً لأن الواقع السياسي والاجتماعي غير مريض».[1]

[1]. . روبرت. أ. دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة د. علا أبو زيد، مراجعة د. علي الدين هلال، ص59.

*الخطاب السياسي العربي ومسألة الهوية[1]

في سياق الخطاب السياسي تبرز مسألة الهوية العربية، حتى لا تكاد أن تخلو أي دورية ثقافية عربية، أو كتاب ... دون الإشارة إلى الأخطار المحدقة والمحيطة بالهوية العربية، وكذلك الخصوصية الحضارية والمميزة لأمتنا، لقد رأى بعض الباحثين العرب أن التلوث الثقافي أشد خطرا من تلوث البيئة على فداحته. كما يرى آخرون أن الوطن العربي يتعرض لشكل جديد من الاستعمار غايته تخريب الهوية العربية وتفتيت الثقافة القومية. والهوية عموما تتأطر عبر السمات الروحية والمادية، الفكرية والعاطفية المميزة لمجتمع أو شعب أو أمة ما، وتشمل الفنون والآداب وطرق الحياة وأنماط التفكير، كما تشمل التقاليد والأعراف، والمعتقدات على نحو يجعل من هذا المجتمع أو الأمة فضاء حضاريا له استقلاليته وخصوصياته، و به يتعين انتماء الفرد أو المواطن. لكن الهوية وعلاقتها بالخطاب السياسي العربي باتت مهددة بالفعل والعصر العولمي، فالتعدد والاختلاف أمر وارد داخل الهوية الواحدة، ولا يجوز النظر إلى الهوية بوصفها جوهرا أدبيا ساكنا وغير قابل للتحول والتطور، بل باعتبارها فضاء مفتوحا متغيرا، متفاعلا تفاعلا جدليا، مع هويات مختلفة ومغايرة، بما يعيد تشكيلها تشكيلا ديناميكيا متجددا يجعل من الحديث عن هوية نهائية وهما من الأوهام، حيث يرى البعض أن الحديث اليوم عن هوية عربية مستقلة وفريدة في وقت محدود، يستورد فيه العرب

[1]. روبرت. أ. دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة د. علا أبو زيد، مراجعة د. علي الدين هلال، ص59.

75%من غذائهم و 90% من علومهم الحديثة وتقنياتها، وما يجعل من حضارتهم حضارة تابعة في كل وجودها ومظاهرها، هو أمر لا معنى له وغير منطقي.

ومن هنا كان لا بد من إعادة فرز سمات خاصة بالهوية العربية، إذ أن المجتمع العربي نفسه ليس، كائنا تاما مكونا نهائيا على حد تعبير (حليم بركات) في كتابه (المجتمع العربي في القرن العشرين) ،بل هو متطور في هويته وثقافته وحتى إلى ما هو أبعد من ذلك، وهذا ما يجب الانتباه إليه في عملية إنتاج الخطاب السياسي العربي النهضوي برمته، حتى لا ننساق وراء بعض الباحثين العرب الذين يرون بأن«الذل والإذلال سمة عامة في ثقافتنا، وإعلان العبودية أمر مقبول في تراثنا»[1]وهو يجاري في ذلك دون أن يدري الافتراءات الاستعمارية التي أرادت النيل من تاريخنا وحضارتنا ومستقبلنا.

والحقيقة أن إشكالية الهوية العربية، لا يمكن حسمه إلا في إطار المفهوم الديناميكي المتطور والمتحول في جملة تحولات الزمان والمكان والتاريخ، فلا هوية عربية اليوم بمعزل عن حركة التطور العالمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية، في عالم متداخل متناظر في كل الأشكال والصور.

[1]. روبرت. أ. دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة د. علا أبو زيد، مراجعة د. علي الدين هلال، ص62.

*الخطاب السياسي الديني[1]

يرى البعض أن الخطاب الديني، يتسم بأنه يتكئ على الخطاب الشرعي المنزَل، ويقصد به «منظومة الأحكام والقواعد، التي يقوم عليها نظام الحكم في الدولة الإسلامية» وهي التي بدأ العمل بها منذ قيام الدولة الإسلامية الأولى، في المدينة إلى سنة 73هـ بانتهاء الدولة التي أنشأها عبد الله بن الزبير، ومن ثم تغير الخطاب الشرعي المنزَل وأصبح يؤول على غير ما يريد الشارع الحكيم، وبالتالي فإننا نشهد الآن خطابا دينيا مختلفا وفي كثير من الأحيان متشددا متعصبا لم ينظر إلى حقوق المخاطب ووجوده، كما أكدها الخطاب الديني المنزل حيث عرف عن عمر (رض) أنه لم يسجن بلالا الذي أنكر عليه عدم تقسيم أراضي العراق على المجاهدين، فحاول عمر إقناعه لكنه لم يفلح، فلم يسجنه ولم يصادر رأيه، وبدأ بلال يصعد من حدة نقده حتى لجأ عمر إلى الدعاء فكان يقول: «اللهم اكفني بلال» وهكذا العديد من الأمثلة التي لم يستوعبها بعض منتجي الخطاب السياسي الديني اليوم.

ومن مميزات هذا الخطاب، أن الحاكمية والطاعة المطلقة فيه لله ورسوله، وجعل طاعة أولي الأمر تبعا، وهي مقيدة بطاعة الله ورسوله في آية «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول».

[1]. أحمد مظهر سعدو، في الخطاب السياسي العربي، ص64.

وفيها ثلاث إشارات:

- جمع "أولي الأمر" ولم يقل الله تعالى "ولي الأمر" ويشير هذا الجمع إلى أن المقصود بأولي الأمر هنا هم جماعة أهل الحل والعقد.
- إمكانية وقوع النزاع بين الأمة وأولي الأمر وأن الحل فيه هو الرجوع إلى الشرع أي "الكتاب والسنة".
- لا بد أن يكون أولي الأمر ممثلين عن الأمة "منكم".

عموما، ليس كل ما يقوله السياسيون للإعلام وفي الجلسات العلنية صحيحا، وليس كل ما لا يصرحون به غير موجود.الخطاب السياسي – مكتوبا كان أم مسموعا – غير النص الأدبي، فقيمة هذا الأخير تكمن في ذاته، في جمالية الكلمة واتساق النص وفي المُتَخيل الذي يولده ، حيث القارئ لا يحتاج لمقارنة النص بالواقع ليحكم على قيمته وصدقيته الأدبية والفنية، أما الخطاب السياسي فقيمته لا تكمن في ذاته، لا في جماليته ولا في اتساق مفرداته (فيما عدا الايدولوجيا والفلسفة السياسية)، بل في الرسالة التي يريد توصيلها والتي كثيرا ما لا تكون ضمن مفردات الخطاب، بل بين سطوره، أو في تأويله وفي علاقته بالواقع وقدرته على التأثير على مجريات أمور الواقع. وعليه "فمن يريد فهم سياسة كيان سياسي ما -خصوصا في بعده الاستراتيجي-، سواء كان نظاما سياسيا أو حزبا أو زعيما، فعليه ألا يُشغل نفسه كثيرا بالخطابات أو التقارير الرسمية ولا حتى بجلسات المؤسسات التشريعية ولجان التحقيق التي

تعلن نتائجها للجمهور ولا بالمؤتمرات والمقالات الصحفية، بل عليه أن يتابع ويحلل كل ذلك ولكن لا يصدر حكما نهائيا من خلال ذلك فقط، بل يجب البحث عن الأهداف الحقيقية للسياسة والسياسيين في مكان آخر، يبحث عنها في السياسة عندما تتحول إلى ممارسات حقيقية على أرض الواقع، السياسة بما هي تحالفات وصراعات على المصالح، السياسة بما هي توازنات طائفية وطبقية ونخبوية، يبحث عنها ويتعرف عليها من خلال البحث عما إذا كان لكل طفل مقعد دراسي أم أن الأطفال يتسولون في الشوارع ،سيتعرف على السياسة عندما يعرف إذا كان لكل مواطن بيت يؤويه أم أن آلاف الأسر تعيش في الشوارع والمقابر وفي بيوت الصفيح، سيتعرف على السياسة إذا ما عرف إن كان لكل مريض سرير في المستشفى وقدرة على شراء الدواء أم أن الناس يموتون لعجزهم عن دفع أجرة طبيب وثمن مبيت في مستشفى أو شراء دواء من صيدلية،الخ[1]".الواقع هو المحك العملي للحكم على السياسة والسياسيين. من جانب آخر يجب التمييز بين النص الفلسفي والأيديولوجي ، والخطاب السياسي، والفلسفة أو الأيديولوجيا حتى وإن كانتا سياسيتين هما مجالات نظرية قائمة بذاتها ومكتفية بذاتها، مجالات لا تبحث عن ممارسة تمنحها المصداقية أو تؤكد مقولاتها، فمصداقيتها مستمدة من اتساقها النظري، مع جانب إيماني، وبالتالي لا تحتاج لدليل من خارج النص، بينما السياسة

[1].جورج كلاوس، لغة السياسة، ترجمة ميشيل كيلو، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1977، ص20.

كعلم- والعلم هو معرفة الشيء بحقيقته، وعلم السياسة هو فن إدارة الحكم- شيء مختلف ومقاييس الحكم عليه مختلفة. المشكلة تطرح عندما يحاول البعض إقحام المقولات الفلسفية والأيديولوجية، بما فيها الدينية بما هي مجال ملتبس، على ميدان الممارسة السياسية، على مستوى السلطة والدولة[1].وقد لاحظنا كيف أن نهضة الدول الأوروبية بداية ثم اليابان وعديد من الدول الديمقراطية المستقرة، ما كان لها أن تكون لولا الفصل ما بين الدولة والممارسة السياسية من جانب، ومتاهات التاريخ والفلسفة واللاهوت من جانب ثان، دون أن يعني ذلك إقصاء هذه المجالات الأخيرة من حياة الشعوب وثقافتها. إذا ما تحدثنا عن الخطاب السياسي الرسمي العربي، سنلاحظ حدوث تحول في هذا الخطاب في العقدين الأخيرين نتيجة هبوب رياح الديمقراطية على المنطقة ونتيجة الثورة المعلوماتية والتقنية التي حطمت جدران العزلة التي كانت تفرضها النظم على شعوبها. فـ"الخطاب السياسي الرسمي تغير وأصبح يوظف مفردات ومصطلحات غير معهودة فيه، وأصبح له متعهدون، من المثقفين والإعلاميين ومؤسسات تُصنف نفسها كمؤسسات مجتمع مدني ومراكز أبحاث ،يتفننون في صياغة شعاراته وأشكال التعبير عنه"[2]. إذ لا نجد اختلافا كبيرا ما بين مفردات الخطاب الرسمي العربي، سواء كانت مدونات رسمية كالدستور والقوانين، أو ما تقوله الصحف والفضائيات والنشرات الرسمية من جانب،وما يحتويه الخطاب الرسمي للأنظمة الديمقراطية الحقيقية من جانب آخر، إلا أنه شتان ما بين الواقع العربي والواقع الذي تعيشه المجتمعات الديمقراطية،حيث يسير الواقع في مجتمعاتنا يسير باتجاه متعارض مع مصالح الأمة وأهدافها الحقيقية بالحرية والاستقلال،أي باتجاه معاكس لمنطوق الخطاب. في مجتمعاتنا هوة واسعة تفصل ما بين الخطاب السياسي وخصوصا الرسمي والواقع

[1]. جورج كلاوس، لغة السياسة، ترجمة ميشيل كيلو، ص21.

[2].المصدر نفسه، ص25.

الذي يعيشه المواطن، "[1]حيث يتحدث الخطاب عن كل قيم الديمقراطية، كالحرية، والمساواة، والمواطنة، وحقوق الإنسان، والتعددية السياسية، والتداول على السلطة، والحق بالتعليم والسكن والعلاج، فيما تتَشكل حياة الناس وطبيعة العلاقة بينهم وبين الطبقة الحاكمة، في مسارات بعيدة ومتعارضة مع مفردات هذا الخطاب، وكأن الأنظمة السياسية تمارس الخطاب المعلن، مع إضافة غير معلنة لأداة النفي (لا)، أو أنها تعتقد أن الجماهير على درجة من الغباء أو السذاجة، بحيث تبهرها لغة الخطاب وصاحب الخطاب، مما يغنيها عن فهم الواقع وتلمس مصالحها الحقيقية من خلاله". هناك ملاحظة ثانية ينبغي الإشارة إليها، هي أن "الأنظمة العربية، لم تعد تمارس سياسة المنع والحجر على الأفكار والأيديولوجيات، بل توجد تخمة في هذا المجال، حتى أن الأنظمة لا تتورع عن فتح فضائيات تابعة لها أو تسهل لفضائيات خاصة عملها وتسمح لهذه الفضائيات بالتحدث عن كل شيء وتنتقد كل شيء حتى الأنظمة نفسها.وهذا مختلف كليا مع ما كان يجري في الستينيات والسبعينيات مثلا عندما كانت تُمنع الكتب والمجلات من المرور عبر الحدود أو تخضع لرقابة مشددة،وكان الكتاب والمثقفون يطاردون على كتاب كتبوه أو قصيدة أو حتى أغنية، وكان يجري التشويش على الإذاعات الخارجية الخ"[2] .

نخلص للقول، بأن الخطاب السياسي، لم يعد معيارا للحكم على شرعية وأهلية أي نظام سياسي ،ويمكن أن نضيف حتى الخطاب السياسي لقوى المعارضة ،لقد حولت الأنظمة والنخب السياسية الخطاب السياسي لأيدولوجيا، خصوصا عندما تضفى على هذا الخطاب مسحة دينية ، أو لمجرد نصوص على ورق لا تثير اهتمام أحد، بدلا من أن يكون مرشدا وأداة للتغيير.

[1]. جورج كلاوس، لغة السياسة، ترجمة ميشيل كيلو، ص25.

[1]. المصدر نفسه، ص28

د. الخطاب السياسي الغربي

مـقدمــة

"من تعلم لغة قوم أمن مكرهم". هاتان مقولتان تنتميان إلى ثقافتين مختلفتين؛ إذ تنتمي الأولى إلى الثقافة الإسلامية بقيمها الربانية الخالدة، وقد جاءت على لسان نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- والثانية تنتمي إلى الثقافة الغربية بنزعتها المادية التجريدية، وقد جاءت على لسان عالم اللغة الأمريكي ذي الأصل اليهودي ناعوم تشومسكي، في تعليق له على خطابٍ ألقاه الرئيس الأمريكي السابق "بوش الابن" بعد حادث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، وهما مقولتان باتتا من الأهمية بما كان، خاصةً بعد أن تدخلت اللغة- بوصفها ظاهرةً إنسانيةً في المقام الأول- في كل مظاهر الحياة البشرية التي أصبحت أكثر تعقيدًا في العصر الحاضر.[1]

ومن يُمعن النظر في اللغة- بعد أحداث الصراع التي برزت على الساحة السياسية العالمية على إثر حادث 11 سبتمبر- يجدها قد مرَّت بمنعطف خطير؛ إذ أصبحت مهمتها في السياسة المعاصرة الدفاع عن أقبح الجرائم، مثل قتل المدنيين العُزَّل بالطائرات، والاعتقالات الجماعية والدبابات، واحتلال الأرض، وهدم البيوت، وزاد من أثر السياسة في اللغة تطوُّر أدوات التعبير عن وسائل الاتصال الجماهيري- من خلال

[1]. د.عمر أوكان، مدخل لدراسة النص والسلطة، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى 1991، ص32.

الصحافة والإذاعة والتلفزيون- تطورًا يحقق الهيمنة على الجماهير، وأصبح النفوذ السياسي يتخذ من النفوذ اللغوي الإعلامي سلاحًا حاسمًا في الإقناع بالأفكار السياسية المختلفة والترويج لها، وتحفيز الجماهير للمشاريع السياسية المختلفة.

ومن ثم كان على التفكير اللساني المعاصر أن ينشغل بلغة السياسة، وما ينطوي داخل الخطاب السياسي من ألفاظ وعبارات، قد يحتوي مضمونها الصدق أو الكذب، كما يحتوي أيديولوجيات تكمن وراء توجيه هذا الخطاب وجْهَتَه التي يريد تحقيقها؛ حتى يتمكَّن من كشف الزيف القابع بين جنبات هذه اللغة وما تستخدمه من حيل ووسائل للوصول إلى ما تهدف، وما تتميز به من سمات في مستوياتها المختلفة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

وحتى يصل محلل لغة الخطاب السياسي إلى غرضه من التحليل فلا بد له من تجنب أمرين خطرين: أحدهما ألا يتناول مباشرةً المنظور التطبيقي للخطاب دون الوقوف على هويته، إذ إن الخطابات على تنوعها تتداخل، ولكل خطاب طبيعته التحليلية، فإذا وجد الدارس نفسه أمام خطاب سياسي فلا بد أن يتناوله من وجهة نظر أوسع تتجاوز ما قد يتناول به نصًا أدبيًّا أو علميًّا، أما الآخر، فهو ألا يعامل الخطاب عند تحليله كوحدة واحدة، إما من الأفضل اختيار النصوص وتحديدها.

وبناءً على ذلك فقد آثرنا بتحديد مفهوم الخطاب السياسي الغربي، واخترنا من بين اتجاهات تحليل الخطاب السياسي، الاتجاه الذي يرصد الملامح اللغوية (الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية).

نال مصطلح الخطاب اهتمامًا كبيرًا في الثقافة الغربية، وأول محاولة جادة تهدف إلى ضبط حدود المفهوم الفلسفي للخطاب وشحنه بدلالته الخاصة ترجع إلى أفلاطون، وذلك استنادًا إلى قواعد عقلية محددة، الأمر الذي يمكن معه القول بأن تلك المحاولة الأولى كانت بادرةً إلى بلورة ملامح الخطاب الفلسفي الحقيقي في الثقافة اليونانية[1].

ومع مطلع عصر النهضة برز مصطلح خطاب في كتاب ديكارت (خطاب في المنهج)، للدّلالة على الخطاب الفلسفي في العصور الوسطى، وهي المرحلة التي سبقت عصر النهضة، وسرعان ما أصبح الخطاب في العصر الحديث يشكّل موضوعًا في الفكر الفلسفي الغربي واللسانيات الحديثة.

ومع تطور حقل اللسانيات كان لتفريق فرديناد دي سوسير سنة 1959م بين اللغة (Language) والخطاب (Discourse)، دوره في تحديد المصطلح، فاللغة- كما يسمونها- تعد شيئًا اجتماعيًّا يمتلكه المجتمع بأسره، أما الخطاب فيعني بالنسبة إليه منجزًا فرديًّا، فاللغة وسيلة ممكنة بينما الخطاب يؤخذ على أنه أنشطة وممارسات فعلية اتصالية[2].

[1].عبد الله إبراهيم، إشكالية المصطلح النقدي (الخطاب والنص)، مجلة آفاق عربية، بغداد 1993، ص59

[2].عبد الستار جواد، اللغة الاعلامية، دراسة في صناعة النصوص الإعلامية وتحليلها، عمان، منشورات دار الهلال للترجمة، 1998، ص70.

وقد خطى اللسانيون من بعد دي سوسير، خطوات عديدة نحو تحديد المصطلح، إذ حاول كثير منهم تعريفه وضبط ماهيته، ومن أبرز الذين حاولوا تعريفه "هاريس" الذي عرف الخطاب بأنه- ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل"، وبنفنست (Benveniste) الذي عرفه بأنه- كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعًا، عند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[1].

أما تودروف (Todorov) فقد عرفه بأنه- "أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما[2]، وذكر ميشال فوكو (Mechel Foucault) أن الخطاب هو- النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها وبنيتها المنطقية أو تنظيمها البنائي[3].

وذهب بييرف زيما (P. Zima)إلى أن الخطاب- وحدة فوق جُمَليَّة، تولد من لغة جمالية، وتعتبر بنيتها الدلالية (كبنية عميقة) جزءًا من شفرة، ويمكن تمثيل مسارها التركيبي- النحوي بوساطة أنموذج تشخيصي سردي.

[1].سعد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص19.
[2].بييرف زيما، نحو سوسيولوجية للنص الأدبي، ترجمة عمار بلحسن، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 5، 1989، ص93.
[3].المصدر نفسه، ص95.

ورأى شولتر (Sholter) أنه- تلك الجوانب التقويمية والتقديرية أو الإقناعية أو البلاغية في نص ما، أي في مقابل الجوانب التي تسمى أو تشخص أو تنقل فقط[1].

وأهم ما يلاحظ على التعريفات السابقة، أن كلاًّ منها حاول أن يبرز خاصيةً من خصائص الخطاب، وعرفه على أساس منها، فعلى حين ركز هاريس على بنية الخطاب، التفت بنفست وتودروف إلى موقف التلقي وتأثير الخطاب، وما قيل عن تعريف هاريس وبنفست وتودروف يمكن ملاحظته على التعريفات الأخرى، وأمام ذلك يمكننا الحديث عن خصائص الخطاب بدلاً من محاولة تعريفه، وتبين التعريفات السابقة عدة خصائص للخطاب[2]:

1- أن الخطاب- كما تتفق حول ذلك معظم التعريفات، وحدة لغوية أشمل من الجملة، فالخطاب تركيب من الجمل المنظومة طبقًا لنسق متفرد من التأليف.

[1].ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1987، ص31.

[2].روبرت شولتر، السيمياء والتأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي، بيروت 1993، ص48.

2- أن الخطاب نظام من الملفوظات، والتأكيد على المظهر اللفظي للخطاب، يتحدد أصلاً، من اشتغال اللسانيين على الكلام بوصفه مظهرًا لفظيًّا خاصًا بالفرد وكونه أكثر المظاهر الإشارية تعبيرًا عن اللغة التي يعتمدون عليها بوصفها قاعدة معيارية عامة.

3- أن مصدر الخطاب فردي، وهدفه الإفهام والتأثير، وهذه الخصيصة تقرر المصدر الفردي للخطاب، كونه نتاجًا يلفظه الفرد ويهدف من ورائه إلى إيصال رسالة واضحة المرمى ومؤثرة في المتلقي.

4- أخيرًا، إن متلقي الخطاب لا بد أن يستشف المقصد الذي ينطوي عليه، وأن يتمثل الرسالة الدلالية التي تكمن فيه، وذلك لكي تكتمل دائرة الاتصال، وهنا لا بد أن تحضر أيضًا مكونات أخرى من عناصر نظرية الاتصال كالشفرة والسياق، لكي ينفذ قصد القائل إلى المتلقي.

وقد جمع جاكبسون Jakobson العناصر المتقدمة في نموذجه الذي قدمه للاتصال في ستة عناصر تمثل العناصر المكونة لأي اتصال لغوي أو اتصال شفاهي على النحو التالي[1]:

وإذا كان ثمة اتفاق بين البنيويين على أن المادة الداخلية للنص هي الوسيلة والغاية في آنٍ واحد، وأن النص بطبعه فاقد المرجعية من جهة أنه لا يحيل على أمور خارجة عنه، ولا يكاد يعترف بهذا الخارج، بل يراه موجودًا في معنى معلوم[2] فإن الخطاب Discourse مصطلح- أكثر اتساعًا من مصطلح النص بمعنى أنه يحتضن عملية التوصيل بجهازها الثلاثي (المؤلف، النص، القارئ)[3]، ولعل ذلك ما جعل بنفست يعرف الخطاب بأنه- كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعًا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما" والتلفظ Enounciation يختلف عن الملفوظ Enounce؛ من جهة أنه الفعل الذاتي في استعمال اللغة، إنه فعل حيوي في إنتاج نص ما مقابلاً بالملفوظ بوصفه الموضوع اللغوي المستقل عن الذات التي أنجزته. وهكذا فإن التلفظ يدرس الكلام ضمن مركز نظرية

[1].ميشيل زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1984، ص85.
[2].المصدر نفسه، الصفحة نفسها
[3].المصدر نفسه، ص86.

التواصل ووظائف اللغة[1]، ولعل ذلك أيضًا، ما جعل ازنبرج يرى الخطاب وحدة يتحقق بها النشاط اللغوي بوصفه نشاطًا اجتماعيًا تواصليًا[2]، وهو المعنى الذي حملته دلالة المصطلح في الثقافة الإسلامية، ففي القرآن الكريم، يقول تعالى: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ) [3] والمعنى المقصود هو البيان والتبيان وتجنب الإبهام والغموض واللبس[4].

ومعنى ذلك أننا إذا نظرنا إلى الخطاب من الناحية الشمولية- لوجدناه الوحدة اللغوية الأساسية، التي تحمل مضمونًا معينًا في شكل جمل متوالية، موجهة من باث أو متكلم (مرسل)، إلى متلقٍ بقصد الاتصال به، وإقناعه بمضمون رسالة أو إبلاغه بشيء ما، وهو تفاعل مباشر بين طرفي الاتصال[5].

إذا كان المفهوم العام للخطاب قد خلص إلى أن أهم خصائصه أنه تركيب من الجمل هدفه الإفهام والتأثير ولا بد أن يستشف المتلقي المقصد الذي ينطوي عليه، فإن الخطاب السياسي الذي يراد به خطاب السلطة الحاكمة في شائع الاستخدام، هو الخطاب الموجه عن قصد إلى المتلقي بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب، ويتضمن هذا المضمون

[1].محمد عبد المطلب، النص المشكل، سلسلة كتابات نقدية، ص56.
[2].سعد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص19.
[3].سورة "ص" الآية 20.
[4].ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار التراث العربي للطبع والنشر، القاهرة 1983، ص330.
[5].د.محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ص40.

أفكارًا سياسيةً، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسيًّا[1]- وفي أغلب الأحيان- يلجأ الخطاب السياسي إلى استثارة الرموز في عقول ونفوس المخاطبين من أفراد الشعب؛ كي يتمكن من تحقيق هدف[2].

فالخطاب السياسي تلفظ- على حد تعبير بنفست- لا يكتفي ببث رسالة فقط، وإنما يشكل الواقع؛ لأنه يصدر ممن يملك تغييرالمؤتمر الواقع[3] وينتج عن مرسل ويستقبله متلقٍ، ويكون المقصد سياسيًّا؛ مما يجعل المرسل في هذه الحال يتسم بسمات معينة تختلف عن تلك التي يتسم بها المرسل لأي خطاب آخر، ويشاركه في ذلك المتلقي، وكذلك الرسالة؛ باعتبارها تحوي مضمونًا ينحو بها منحىً يختلف عن مضمون الرسائل اللغوية الأخرى. ويهدف الاتصال السياسي في أغلب الأحيان إلى تحقيق أهداف السلطة أو المعارضة، ومقاصدها والمصالح العامة، وتقديم معلومات رفيعة المستوى، غير معروفة لدى الإنسان ثم محاولة نقلها إلى الجمهور نقلاً مدعمًا بوسائل الإقناع والتأثير من أجل تحقيق مهمات وطنية (اجتماعية- اقتصادية- ثقافية)[4].

[1].مازن الوعر، اللسانيات وتحليل الخطاب السياسي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن دار النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد 44، 1997، ص133.

[2].د.محمد داود، اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11سبتمبر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة2008، ص25.

[3].د.منصور بن زويد المطيري، مصطلحات الخطاب الغربي هل هي تعبير عن واقع أم تبير السياسة؟

[4].د.محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ص4 و5.

ويمد النظام السياسي، شبكات واسعة الاتصال تقوم بين الحكام والمحكومين، فتحقق الانسجام بينهما، وتستخدم السلطة في ذلك أدوات مؤثرة مثل التوجه ألإقناعي، والضغط المتعمد، والتجنيد السياسي، والتنشئة السياسية؛ إذ إن هدف السلطة السياسية الشمولي هو توجيه حياة المتلقي وسلوكه الاجتماعي ووضعه تحت تأثير المرسل وسلطته، أو وضع الجماهير في سلطة السلطة، فتصبح من ممتلكاتها الخاصة، ولها حرية التصرف فيها[1].

ومعنى ذلك أن الهدف مقصد رئيسي في الخطاب السياسي بشكل عام، وفي الخطاب الغربي على وجه الخصوص، لأنه خطاب له دوافع وأسباب يأتي رد فعل لها، وأنه وليد المناسبة أو السبب، فلن يأت عن طبع أو سجية ترسله، فيعبر به صاحبه عما يجيش في صدره من حرارة العاطفة، بل قاله صاحبه ليحقق به مصالح سياسية، فأعده وصنعه على أحوال الموقف الخارجي التي تكون دافعًا رئيسًا لإنتاجه، فيدين لها بالولاء، ويكون تعبيرًا عنها وليس تعبيرًا عن صاحب الخطاب.[2]

ومن هذه الناحية يمثل الخطاب السياسي نشاطًا تواصليًّا موجهًا إلى تحقيق هدف، وهو ما أجمع عليه عدد من الباحثين في هذا المجال،

[1].د.محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ص4 و5.

[2].د.عبد الهادي بن ظافر الشهيري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ط1، 2004، ص149.

وكذلك فإنه- يهتم بالأفكار أو المضامين، ولهذا نجد المادة اللفظية قليلة في حين يتسع المعنى الدلالي لتلك الألفاظ، فالمرسل يعتني بالفكرة التي هي مقصده أكثر من عنايته بالألفاظ، فالفكرة في الخطاب السياسي هي الأساس[1].

إن دراسة لغة السياسة تستلزم بحث الجوانب المختلفة للخطاب السياسي؛ للوقوف على معيار الخطاب السياسي، وشكله، وخصائصه اللغوية، ونظامه، وإشاراته، ورموزه، وسماته الأسلوبية، وأدواته، أو تقنياته وآلياته ذات الفعالية في التأثير على المتلقي، وقد أشار فان دايك إلى أن تحليل الخطاب السياسي يمثِّل مجالاً خاصًّا؛ وذلك لأنه يهدف إلى دراسة وتحليل النصوص المكتوبة والمنطوقة من أجل الكشف عن السلطة والسيادة والانحياز وعدم المساواة وأن هذا التحليل يتناول هذه المصادر المختلفة ويصلح عند الحديث في الموضوعات الاجتماعية والسياسية والتاريخية[2].

وهنا تلتقي دراسة الخطاب السياسي في إطار علم اللغة السياسي مع الدراسة اللغوية للنصوص في إطار "علم اللغة النصي" Text Linguistics أو ما يطلق عليه أيضًا "علم لغة النصوص"، وهو فرع جديد من فروع علم اللغة يُعْنَى بالدراسة اللغوية لبنية النصوص؛ فلا يتقيَّد بحدود الجملة

[1].د.محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ص46.

[2].فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت 2000، ص18.

الأدوات اللغوية التي تمنح النص المدروس تماسكه الشكلي والدلالي[1]، وليضع من خلال تلك الدراسة للنصوص المختلفة ضوابط كل نوعٍ أو نمطٍ من هذه النصوص وتركيباتها وبنائها، مبيِّنًا طرائق الربط بين أجزاء هذه النصوص، والعوامل الخارجية التي يمكن أن تؤثر فيها: كالموقف، والزمان والمكان اللذين كُتب فيهما النص؛ كما يهتم هذا العلم بالكشف عن وظائف النص وأهدافه، ومدى تأثيره على مستقبليه، سواء أكانوا قراءً أم مستمعين[2]، وهو بذلك يؤكد على أهمية السياق، وأنه من الضروري أن توجد لدى المتلقِّي الخلفية المناسبة التي تساعده على تحليل النص.

المستوى الصوتي للخطاب السياسي الغربي Phonology

تُعنَى دراسة المستوى الصوتي في دراسات تحليل الخطاب السياسي بتحليل عناصر هذا المستوى؛ لإيضاح ما تقوم به من وظائف في بنية الخطاب؛ إذ بات من المؤكد أن الأصوات تؤدي بعض القيم التعبيرية الدلالية، وذلك منذ لفت ابن جني [3]الانتباه إلى وجود صلة بين بعض الأصوات، وبين ما ترمز إليه، وهو ما أكدته العديد من الدراسات والأبحاث اللسانية

[1]. د.عزت عياد، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، ص144.

[2].المصدر نفسه، ص146.

[3]. المصدر نفسه، ص147.

العربية المعاصرة، كما يتجلى ذلك في كتب رائد الدراسات الصوتية العربية الدكتور إبراهيم أنيس، الذي عالج في أحد كتبه- نعني كتاب: (الأصوات اللغوية)، وقد طُبع عدة طبعات- بعض القضايا الصوتية معالجةً علميةً واعيةً، لا يألوها تقصير، فأصبح الكتاب مددًا لكل من طلب العون في مجال الأصوات.

وبناءً على تلك العلاقة التي باتت مؤكدة بين الأصوات وما تؤديه من قيم تعبيرية دلالية، عُني الدرس اللغوي الأوروبي عنايةً كبيرةً بالدلالات الصوتية أيضًا، ولم تقلّ عنايته بالصوت اللغوي وأبعاده الدلالية والتركيبية عن جهود اللغويين العرب القدامى، بل إن الوسائل الحديثة قد أتاحت للمحدثين الوصول إلى نتائج علمية ويقينية، وهذه النتائج جعلت دراسة الصوت دراسة علمية خالصة.

وقد أشار ماريوباي Mario pei إلى أهمية الدلالة الصوتية في كشف جوانب المعنى، فقال: «إن أصوات العلة، والأصوات الساكنة تكون ما يسمى بجزئيات الكلام Speech Segments، ولهذا توصف بأنها فونيمات جزئية أو تركيبية phonemes segmental يوجد إلى ذلك ملامح صوتية إضافية تؤثر على الأصوات الكلامية أو مجموعاتها، وهذه يطلق عليها أسماء الفونيمات الإضافية أو الثانوية، ومن أهم أنواعها النبر Stress والتنغيم Intonation والمفصل Juncture»[1] .

[1].ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، 1973، ص92.

ويمكننا أن نرصد عددًا من السمات الصوتية الخاصة بالخطاب السياسي الغربي، فمما يميز هذه اللغة بعدها عن الأصوات المتنافرة، أو الثقيلة، أو الصعبة، بالإضافة إلى ميلها إلى انتقاء الأصوات السهلة، المتآلفة؛ لأن السهولة والوضوح من أهم ملامح لغة هذا الخطاب، وذلك بجانب الاستعانة بالمؤثرات الصوتية كالنبر والتنغيم، لإبراز الرموز الصوتية المعبرة عنها، فمثلاً جملة كـ"الحرب ضد الإرهاب" التي تتردد بكثرة في خطاب الرئيس بوش الابن، واتخذها ذريعةً لحربه على الإسلام نجده يضغط على كلمة الإرهاب كرمز لغوي يعبر عن خطورة الإرهاب، وفي جملة حماية الأمن الإسرائيلي" يُبرز الساسة الغربيون كلمة الأمن" في الجملة كرمز لغوي يعبر عن أهمية الأمن للمجتمع واشتداد الحاجة إليه[1].

ومن أبرز الملامح الصوتية التي تميِّز الخطاب السياسي الغربي كثرة الفونيمات المجهورة، ولا شك أن ارتفاع الصوت يزيد اللفظ دلالةً وتأكيدًا؛ إذ يشتد الصوت ويحبس الهواء، ثم يحدث دويٌّ انفجاريٌّ، وهذا يتضح جيدًا في المقاطع الطويلة التي يمتد فيها الصوت[2] "في مثل الوصف الذي استخدمه برونو كرايسكي، المستشار السابق للنمسا، وهو ديمقراطي اجتماعي من أصل يهودي، خاض حملةً ضد حزب الشعب في

[1].محمد محمد داود، اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر، داود، اللغة والسياسة ص75.

[2]. المصدر نفسه، ص 76.

عقد السبعينيات من القرن العشرين؛ فقد استخدم لنفسه صفة- real Austrians وتعني- النمساوي الحقيقي"[1].

ويلاحظ اعتماد التركيب هنا على الأصوات المجهورة- r-l-t-n كما يلاحظ زيادة المقاطع الطويلة على المقاطع القصيرة؛ مما يكون له الأثر في إحداث دوي انفجاري يجذب المتلقي إلى الخطاب[2].

ويعتمد الخطاب السياسي الغربي أيضًا على التكرار في بعض الأحيان، وهو ظاهرة صوتية تأتي غالبًا في مكانها من الخطاب، ومن الجمل التي تتكرر كثيرًا في الخطاب السياسي الغربي- كما أشرنا سابقًا- عبارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن- الحرب ضد الإرهاب؛ إذ كثيرًا ما يكررها للتأكيد على مشروعية الحرب على الدول التي تخالف نظام الولايات المتحدة الفكري أو السياسي، وهو تكرار يترك إيحاءً لدى المتلقِّي بمصداقية ما يقال.

[1].د.إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1984، ص55.
[2].محمد محمد داود، ، اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر، ص57.

المستوى الصرفي للخطاب الغربي Morphology

يُعنى هذا المستوى في دراسة لغة الخطاب السياسي، بتناول أبنية الكلمات داخل بنية الخطاب؛ من حيث ما يعتريها من زيادات وتحولات تغير دلالتها أو وظيفتها؛ نتيجةً لدخول عناصر لغوية معينة[1]، ومن ثم يتجه إلى دراسة المصطلحات بدراسة المصطلحات والكلمات السياسية وما انتابها من تحوُّل بعد نحتها أو تركيبها كيفما شاء السياسي.

ومن الواضح أن كل الكلمات والمصطلحات التي يستخدمها السياسيون أو التي تستخدم في لغة السياسة لها تبعاتها أو تنويهاتها، وتختلف هذه التنويهات بناءً على من يستخدمها أو يتحدثها، فبعض السياسيين يكون فخورًا بأن له آراءً سياسيةً تضعه في حزبه، ونفس هؤلاء السياسيين يمكن أن ينقدوا المعارضين على أنهم جناح معارض، وفي نفس الوقت يستخدمون المصطلح بتعليق سلبي، وكلما ظهرت المجموعات السياسية، فإن كلمة جديدة تدخل إطار الاستخدام لوصف هذه المجموعات.

ويمكن لنا أن نرصد مجموعةً من السمات اللغوية الخاصة بالمستوى الصرفي في لغة الخطاب السياسي الغربي، خاصةً على مستوى صياغة الألفاظ والمفردات والمصطلحات ونحتها، وأول هذه السمات الصرفية هي استخدام بعض الكلمات التي أصابها تحوُّلٌ في دلالة صيغتها، وإضفاء المفهوم الجديد على هذه الكلمات ونسيان القديم تمامًا.

[1].د.حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص87.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما نجده في الخطاب السياسي البريطاني ومصطلحاته في عقد الثمانينيات، وبالتحديد في عام 1980، أثناء حكم حزب المحافظين بأغلبية ساحقة لبريطانيا، بعد أن حدثت انقساماتٌ في الحزب؛ إذ اعتمد على هذه الظاهرة الصرفية؛ فالذين كانوا في داخل الحزب ولا يؤيدون السيدة مارجريت تاتشر" كانوا يسمون Wets بواسطة معارضيهم، وكانت تحمل معنى الجبن وعدم الشجاعة بين شباب المدارس في هذه الفترة من الزمن.

وأما مؤيدو السيدة "مارجريت تاتشر" فكان لهم الفخر في أن يطلقوا على أنفسهم Tory، وبعد ذلك كان الجبناء wets سعداء بهذا اللقب، وكانوا هم أنفسهم يستخدمونه؛ مما يعني أن الكلمة قد تحوَّلت دلالتها على مستوى اللفظة المفردة في هذا الخطاب؛ حيث إن مصطلحات الشباب أصبحت عادية ومستخدمة ومنتشرة وفقدت سلبيتها.

وبإمعانٍ أكثر للنظر نجد أن كلمة Tory كانت مستخدمةً لدى المستوطنين الإنجليز في أيرلندا للإشارة إلى الإيرلنديين الذين يهاجمونها، وبالتالي كانت في البداية مستخدمةً ككلمة تحمل دلالة الشتائم حين استخدمت مع مجموعات سياسية إنجليزية في القرن الثامن عشر، ثم أصبحت الكلمة بعد ذلك هي الاسم الرسمي للغرب، وما زالت تستخدم حتى اليوم من قبل المحافظين.

وقد يلجأ الخطاب السياسي الغربي إلى ما هو أبعد من ذلك في التعامل مع مصطلحاته وصياغتها وتحديد مجال دلالتها؛ إذ يقوم بتحويل بعض المصطلحات وتغيير دلالتها إلى الضد إذا لزم الأمر أو اقتضت الظروف ذلك، وقد رصد "فهمي هويدي" مجموعةً من هذه المصطلحات، ومن ذلك مصطلحات كـ"الجملوكية" و"الديمقراطية" و"الليبرالية" و"الأصولية" و"المحافظين؛ فمصطلح كـ"الليبرالي" مثلاً كان الانطباع المستقر والشائع عنه أنه الرجل المعتدل والمتسامح الذي يحتل موقع الوسط في التفكير والفعل، غير أن هذا مضمون هذا المصطلح اختلف تمامًا في دولة مثل الولايات المتحدة بحيث أصبحت الليبرالية تهمة في إدراك الرأي العام يتعين دفعها والتبرؤ منها بكل وسيلة، بل إنها أصبحت تطلق على المرشح غير القابل للفوز بالانتخابات في الولايات المتحدة[1].

ومن السمات الصرفية المميزة للخطاب السياسي الغربي على مستوى استعماله للألفاظ استخدام بعض المصطلحات كعلامات أو إشارات سياسية أو أسماء على الرغم من إمكانية استخدام بعضها كصفات، ومن هذه الألفاظ[2]:

(أ) الحكومة– النظام– الديمقراطية– الدكتاتورية– الحكم الأوحد، تستخدم كأسماء لوصف أشكال الحكومة.

[1].فهمي هويدي، مصطلحات الخطاب السياسي حيث تتحول إلى فخاخ وكمائن، مجلة المجلة، الرياض، العدد 1067، يوليو 2000، ص31

[2]جورج كلاوس، لغة السياسة، ترجمة ميشل كيلو، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1977، ص20.

(ب) ثوري– جزري– منشق– صهيوني– ناقد- متغرب– عسكري– منفصل- برلماني- معارض- متحرر، تستخدم كأسماء لوصف المعارضين للسلطة.

(جـ) عسكري– صقر– حمامة– متشدد– متطرف– معتدل، تستخدم كأسماء لوصف قوة الاتجاهات السياسية بخصوص القضايا السياسية.

وهناك نوع آخر من المصطلحات السياسية وهي التي تكون مرتبطة بالقوامات السياسية المحددة، ففي عقد الثمانينيات من القرن العشرين تمت الإشارة إلى السيدة- مارجريت تاتشر" في البداية باسم- المرأة الحديدية"، وكان هذا الوصف يعني عدم المرونة في تعاملها مع الآخرين، وتحولت دلالة المصطلح بعد ذلك إلى معنى إيجابي عندما تم فهمه على أنها تجسد معنى الصلابة والتحمل، وأحيانًا يتم نحت المصطلح من اسم من جسد معناه مضافًا إليه ياء النسب مثل كلمات- "ريجاني" نسبة إلى ريجان، أو- "تاتشري" نسبة إلى مارجريت تاتشر أو- "بلايرني" نسبة إلى بلايرن، وغيرها[1].

ومما يميز الخطاب السياسي الغربي على المستوى الصرفي غموض وتعقيد بعض المصطلحات والألفاظ المفردة، وهذا ما لاحظه روبرت أ. دال في دراسته لوصف النفوذ في الخطاب السياسي الغربي؛ إذ ذكر أن السياسيين يستخدمون لوصف النفوذ كلمات مثل: التحكم، القوة، النفوذ، السلطة، الإقناع، العزم، القدرة، القسر.

[1].جورج كلاوس، لغة السياسة، ترجمة ميشل كيلو، ص26.

وإذا كان الناس لا يتفقون على الكيفية التي تستخدم بها هذه المصطلحات في لغة التعامل اليومية العادية، فإن علماء السياسة أنفسهم لا يتفقون في استعمالها، بل إن علماء السياسة، مثلهم مثل غيرهم عادة لا يعطون تعريفات محددة لهذه المصطلحات، وعندما يفعلون ذلك، عادة ما لا يتفقون جميعًا على استخدام واحد للعبارة الواحدة، فالنفوذ عند أحد الكتاب قد يصبح القوة وفقًا لكاتب آخر[1].

وقد رصد "الدكتور عبد الوهاب المسيري"[2] بعض السمات التي تتميز بها المصطلحات الغربية الصهيونية، ومن هذه السمات:

أ- تنبع المصطلحات الغربية من المركزية الغربية، فالإنسان الغربي يتحدث على سبيل المثال عن- عصر الاكتشافات"، وهي عبارة تعني أن العالم كله كان في حالة غياب ينتظر الإنسان الأبيض لاكتشافه، والصهاينة أيضًا يشيرون إلى أنفسهم على أنهم- رواد"، والرائد هو الذي يرتاد مناطق مجهولة، فيستكشفها بنفسه، ويفتحها لينشر الحضارة والاستنارة فيها بين شعوبها البدائية.

ومن أهم المصطلحات التي أحرزت شيوعًا في لغات العالم الغربي مصطلح- "معاداة السامية" وهو مصطلح يعكس التحيزات العرقية والمركزية الغربية التي ترجمت نفسها إلى نظام تصنيفي (آري/ سامي) والسامي بالنسبة للغرب هو اليهودي، وهو ما لا يمكن لأي دارس

[1].روبرت .أ ال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة د. علا أبو زيد، مراجعة د. علي الدين هلال، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1993، ص22.

[2].د.عبد الوهاب المسيري، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الشروق القاهرة، ط2، 2005، ص26 .

للتشكيل الحضاري أن يقبله، ومع هذا شاع المصطلح وسبب الخلل، وقد أصبح المجال الدلالي لمصطلح "معاداة السامية" يشير إلى أي شيء، ابتداءً من محاولة إبادة اليهود، وانتهاءً بالوقوف ضد إسرائيل؛ بسبب سياستها القمعية ضد العرب مرورًا بإنكار الإبادة[1].

ب- يستلهم الغرب في صياغة مصطلحاته ونحتها صرفيًّا من رؤية إنجيلية لأعضاء الجماعات اليهودية، وحتى بعد أن تمت علمنة رؤية العالم الغربي لليهود ظلت بنية كثير من المصطلحات ذات طابع إنجيلي، فاليهود هم- شعب مقدس" أو- شعب شاهد" أو- شعب مدنس" أو- شعب ملعون" وبغض النظر عن الصفات التي تلتصق باليهود فإن صفة الاستقلال والوحدة هي الصفة الأساسية، فسواء كان اليهود شعبًا مقدسًا أم مدنسًا فهم شعب واحد، وقد ترجم هذا المفهوم نفسه إلى فكرة- الشعب اليهودي" تمامًا كما أصبح التاريخ المقدس" الذي ورد في التوراة هو التاريخ اليهودي" وتشكل مفاهيم الوحدة هذه الإطار النظري لكل من الصهيونية ومعاداة اليهود[2].

ج- أن أكثر المصطلحات التي صيغت عن اليهود تستقى من التراث الديني اليهودي (بعضها بالعبرية أو الآرامية) أو من تراث إحدى الجماعات اليهودية (عادة يهود اليديشية) أو من الأدبيات الصهيونية

[1].عبد الوهاب المسيري، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، دراسة نظرية وتطبيقية، ص30.
[2].المصدر نفسه، الصفحة نفسها

لوصف الظواهر اليهودية والصهيونية، وكأن هذه الظواهر من الاستقلالية والتفرد، بحيث لا يمكن أن تصفها مفردات في أي لغة أخرى[1].

ومن المصطلحات التي يظهر فيه هذا الانغلاق الجيتوي، كما يقول المسيري [1] مصطلح- الهولوكوست" و"العالياه" وهي اصطلاحات وجدت طريقها أيضًا إلى اللغة العربية، و"العالياه" اصطلاح ديني يعني العلو والصعود إلى أرض الميعاد، ولا علاقة له بأي ظاهرة اجتماعية، ومع هذا يستخدم الصهاينة الكلمة للإشارة إلى الاستيطانية، أي أنها ظاهرة لها سبب ونتيجة أصبحت شيئًا فريدًا، وظاهرة ذاتية لا تخضع للتقنين والمناقشة، و"الهولوكوست" هو تقديم قربان للرب في الهيكل، يحرق كله ولا يبقى منه شيء للكهنة.

ومع هذا يستخدم الصهاينة هذه الكلمة للإشارة إلى الإبادة النازية لليهود، والغرض من استخدام كل هذه المصطلحات الدينية العبرية هو إزالة الحدود والفوارق بين الظواهر المختلفة بحيث تصبح- عالياه" هي الهجرة الصهيونية الاستيطانية، وتصبح الهجرة الصهيونية هي العلو والصعود إلى أرض الميعاد، أما الهجرة منها، فهي- يريداه" أي هبوط ونكوص وردة.

[1].عبد الوهاب المسيري، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، دراسة نظرية وتطبيقية، ص29

ولعل مما له دلالته هنا، أن العبرية توجد فيها كلمة محايدة تصف الهجرة وحسب (هجيراه)، ولكن الصهاينة استبعدوها، وهو ما يؤكد المضمون الأيديولوجي لهذا المصطلح.

المستوى التركيبي للخطاب الغربي

درج الدارسون فيما نعلم في دراسة هذا المستوى من مستويات الخطاب على دراسة تراكيب الخطاب السياسي، وما بين عناصرها من علاقات، وما يحكم تلك العلاقات من قواعد، والمركب ههنا هو ما تكون من كلمتين أو أكثر، وأصبح لهيئته التركيبية سمةً تُميِّزه[1]، أو الوحدة اللغوية التي تتشكل من فعل (محمول) بوصفه المركز التركيبي وسلسلة من مواقع أركان الجملة التي تقع كل منها في علاقات تبعية محددة للفعل[2].

والخطاب السياسي الغربي من هذه الناحية يميل إلى استعمال التراكيب والعبارات التي تقوم على التقابل فيما بينها، ومن أبرز ما يصور ذلك فيه أن حزب المحافظين البريطاني في عقد الثمانينيات من القرن العشرين كانوا يستخدمون تراكيب وعبارات تحمل معنى السوائل لوصف مواضعهم في الحزب، وكان حزب العمال يستخدم التراكيب والعبارات التي لها دلالة الصلابة؛ حيث إن الأعضاء المتطرفين كانوا ينتمون إلى اليسار الصلب- hard left- أما اليسار الأقل تطرفًا فكانوا ينتمون إلى soft left.

[1].د.إبراهيم محمد عبادة، في الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988، ص49.

[2].كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة الدكتور سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط1، 2005،ص34.

وفي عام 1997م اكتسح حزب العمال البريطاني الانتخابات التي جرت بينه وبين حزب المحافظين، وكانت له الأغلبية الكبرى، وقد اصطلح قادته على تسمية أنفسهم بـ"حزب العمال الجديد"، لوصف أنفسهم ووصف سياساتهم بصورة جزئية للهروب من وصف التركيب القديم hard soft، ذي الارتباطات السلبية، أما الذين كانوا ينتمون للحزب ولكن يعارضون سياسته الجديدة، فسموا أنفسهم بـ"حزب العمال القديم" old labor لكي يصوغوا فكرة انتمائهم للأفكار من التراث والصدق الذي كان سائدًا في الحزب القديم، وهنا يتضح مدى المقابلة التي يقوم عليها التعبيران (حزب العمال الجديد، حزب العمال القديم)[1].

وما يجب أن يوضع في الاعتبار هنا أن هذه التراكيب تحتوي على جانب كبير من النطاق الأيديولوجي لمن يوصفون بها، كما أنها تختلف من حيث من يستخدمها، سواء استخدمت بواسطة السياسيين لوصف أنفسهم أو استخدمت بواسطة الآخرين لوصف السياسيين[2].

ومن السمات التركيبية في الخطاب السياسي الغربي ما أكده "فهمي هويدي"، الذي رأى أن الخطاب السياسي الغربي يستخدم عبارات يعني ظاهرها شيئًا وباطنها يعني شيئًا آخر مناقضًا، ومن ذلك قول كان أثيرًا لدى إيهود باراك" رئيس الوزراء اليهودي السابق؛ إذ كان يردد كثيرًا أنه

[1]. كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة الدكتور سعيد حسن بحيري، ص35.

[2].المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يسعى "للانفصال الجسدي عن فلسطين"، وهذا الانفصال خاص بالحركات الاستقلالية، غير أنه في الوضع الملموس في الضفة والقطاع مطلب استعماري (كولونيالي)، فـ"باراك" يقصد أنه يريد تحرير إسرائيل من فلسطين، مع ما يعنيه ذلك من إبداء الطمع في أرضهم، أو فيما تبقى لهم من أرض بعد اغتصاب 1948م، في الوقت ذاته فإن باراك" بتلك العبارة التي يهدد فيها بعقوبة الانفصال يريد التلويح بورقة اقتصادية مهمة في وجودهم[1].

ومن أهم ما يميز المستوى التركيبي للغة الخطاب السياسي الغربي ازدواجية تراكيبه وتعبيراته، وتظهر هذه الازدواجية بوضوح في الخطاب السياسي الأمريكي؛ إذ تظهر في عدة تعبيرات راجت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر مثل: (الحرب ضد الإرهاب)، وهو رمز لغوي يثير في النفس الكراهية والعداء لكل ما هو إرهابي؛ حيث إن الإرهاب- في نظر أمريكا- هو كل ما يخالف مصلحتها، ولا يكون تابعًا ومسلمًا لها، كما أن (الدفاع عن الحرية) رمز لغوي آخر يشد الشعب الأمريكي، وقد تم توظيفه في الإعلام الأمريكي، رغم أنه تعبير فضفاض وأحد الحجج الباطلة التي تم تقييدها في بيان وقعه- مؤخرًا- كتاب وفنانون وأكاديميون أمريكيون[2].

[1].فهمي هويدي، مصطلحات الخطاب السياسي حيث تتحول إلى فخاخ وكمائن، ص31.
[2].محمد محمد داود، اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر، ص26.

ومن السمات التركيبية التي يمتاز بها الخطاب السياسي الغربي، بوجه عام، وخطاب الرئيس الأمريكي بوش الابن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر على نحو خاص، كما ترى ساندرا سلبرستن، خطابية العبارة، وهو ما يظهر من خلاله خمس خصائص تظهر في لغة الرئيس الأمريكي بوش الابن:

أ- يظهر كل عنصر فيها أن القرارات الخطيرة التي تتعلق باللجوء إلى القوة متأنية؛ حيث إنها نتيجة لتفكير وبحث عميقين.

ب- يتم تبرير التدخل باستخدام القوة من خلال عرض للأحداث وفقًا لتسلسلها الزمني، أو سرد للأخبار تشتق منها تصريحات جدلية تحتمل الخلاف والمناقشة.

ج- يُنصح الجماهير بالعمل على توحيد أهدافهم والتزامهم التام بواجباتهم.

د- لا تبرر اللغة الخطابية استخدام القوة فحسب، ولكنها تنشد تولي الرئيس سلطات قانونية استثنائية باعتباره القائد المسؤول والقائم على أداء الخصائص السابقة.

هـ- يلعب تشويه الحقائق- الذي يتم بشكل إستراتيجي- دورًا فريدًا فيما ينادي به، ومن أبرز ما يصور ذلك في خطاب الرئيس بوش، خطابه في العشرين من سبتمبر 2001م؛ إذ جاء هذا الخطاب تعليميًّا من الدرجة الأولى، ومن خلاله أظهر الرئيس تفكيره المتأني العميق قبل اتخاذ القرارات الخطيرة، وبرَّر للحرب ضد الإرهاب من خلال عرض

الأحداث وفقًا لتسلسلها الزمني، وحثَّ مستمعيه على الاتحاد والاتفاق في الأهداف والالتزام بالواجبات، وذلك من خلال استخدام سلسلة من الأسئلة، يقول بوش في خطابه: "يطرح الأمريكيون الليلة العديد من التساؤلات: إنهم يتساءلون: مَن هاجمنا؟! الأمريكيون يتساءلون: لماذا يكرهوننا؟! الأمريكيون يتساءلون: كيف سنقاومهم لننتصر في هذه الحرب؟[1]. أما شعارات الخطاب السياسي الغربي فتتسم بالتكثيف والتركيز الشديد لدلالات مقصودة؛ اعتمادًا على جمل قصيرة، أو كلمات مختصرة، أو كلمة مختصرة، أو كلمة واحدة مثل:- الحرب ضد الإرهاب أو"العدالة المطلقة"[2].

[1].د.محمد داود، اللغة والسياسة في ما بعد 11 سبتمبر، ص71.
[2].المصدر نفسه، ص104.

المستوى الدلالي للخطاب الغربي

ويقصد بمستوى التحليل الدلالي هنا بيان مكونات معنى الخطاب السياسي، ووصفها وصفًا علميًّا؛ اعتمادًا على نظرية السياق التي قامت في الأصل على ما كان يطلق عليه العالم الإنثربولوجي "مالينوفسكي" Context of Situation أو سياق الحال[1]، ثم تطورت هذه النظرية على يد فيرث Firth وأصبحت تركز على أمرين: أولهما مراعاة المقام أو المعنى المقامي أو السياق الخارجي أو المواقف الخارجية المصاحبة للأداء اللغوي؛ انطلاقًا من النظر إلى الجملة بوصفها وحدة اتصال في الموقف الخارجي للسياق، وثانيهما مراعاة السياق اللغوي Linguistic Context للجملة[2] أو المعنى المقالي كما أسماه "الدكتور تمام حسان" [3]، والمقصود به جملة الوظائف اللغوية داخل الخطاب؛ بحيث يستحيل النص بناءً متكاملاً تشارك في إنتاجه عناصر الأداء اللغوي الصوتية والصرفية والنحوية التي عرضنا لتحليلها وأبرزنا أهم سماتها في الخطاب السياسي

[1]. د.محمد داود، اللغة والسياسة في ما بعد 11 سبتمبر،106.
[2].المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3].المصدر نفسه، ص109.

الغربي سلفًا، مع ضرورة الانتباه إلى أن هذه المستويات المختلفة ليست هي الدلالة أو المعنى في ذاته، وإنما معن الخطاب يتحدد من خلال الربط بين النتائج التي أثمرت عنها هذه التحليلات جميعًا ربطًا يضع في اعتباره جملة عناصر سياق الحال التي تشمل الظروف الاجتماعية للخطاب وقت أدائه وقرائن الحال المصاحبة له، مثل شخصية المرسل والمتلقي ونوع الوظيفة الكلامية للخطاب، والأثر الذي يخلفه لدى المتلقي[1]، ومن ثم فإن المعنى الدلالي للخطاب في صورته الشاملة لا يتحصل عليه إلا من خلال النظر في آنٍ واحد إلى دعامتيه الأساسيتين، وهما: المعنى المقامي والمعنى المقالي[2].

ولبنية الخطاب الدلالية شكلان:

1- الأبنية الدلالية الكبرى: وهي الأفكار والمضامين أو الموضوعات التي تربط بين الألفاظ والتراكيب، وتشكل بناء متماسكًا للخطاب، وهذه المضامين هي التي تعمل على تماسك الخطاب، والخطاب السياسي الغربي يهتم بالأفكار أو المضامين، ولهذا نجد المادة اللفظية قليلة في حين يتسع المعنى

[1].د.محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص340.
[2].د.تمام حسن، اللغة العربية معناها ومبناها، ص139.

الدلالي لتلك الألفاظ، فالمرسل يعتني بالفكرة التي هي مقصده أكثر من عنايته بالألفاظ، فالفكرة في الخطاب السياسي هي الأساس[1]، وقد أشرنا من قبل إلى أن الاتصال السياسي يهدف في أغلب الأحيان إلى تحقيق أهداف السلطة ومقاصدها والمصالح العامة، وتقديم معلومات رفيعة المستوى، غير معروفة لدى الإنسان، ثم محاولة نقلها إلى الجمهور نقلاً مدعمًا بوسائل الإقناع والتأثير؛ من أجل تحقيق مهمات وطنية (اجتماعية- اقتصادية- ثقافية)، ويكون موجهًا عن قصد إلى المتلقي بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمونه، كما أنه يكون تعبيرًا عن موقف أو ظروف خارجية، وليس تعبيرًا عن صاحب الخطاب، ومن هذه الناحية يمثل الخطاب السياسي الغربي نشاطًا تواصليًّا موجَّهًا إلى تحقيق هدف، ومن ثم يهتم بالمضمون اهتمامًا بالغًا.

2- الأبنية الدلالية الصغرى: وهي المفردات داخل الخطاب، وما توحي به من معنى، ومجالاتها الدلالية المستقاة منها وغير ذلك سمات تختص بالبنى الدلالية الصغرى [2].

[1].د.محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ص 46.
[2].د.محمود جاد الرب، علم الأسلوب بين الأسلوبية الحديثة والبلاغة العربية، عامر للطباعة والنشر،المنصورة، ط1، 1993، ص 41.

وفي هذا الإطار ينطوي الخطاب السياسي الغربي على مجموعة من السمات الدلالية التي تميزه، ومن أهم هذه السمات أن ألفاظه ومفرداته مستمدة من العديد من الحقول الدلالية؛ إذ يعتمد كثيرًا على الاستعارات المستقاة من مجالات مختلفة، كالفن والتعمير والبناء، إلا أن أكثر أصناف الاستعارة تداولاً هي استعارات الرياضة والحرب، بل إن الاستعارة المهيمنة في هذه اللغة هي الاستعارة الحربية كقول بعض الساسة وضع خطوط حمراء أمام المتطرفين، و"هذا مجرد لغم سياسي"[1].

كما أن ألفاظ ومصطلحات رياضة الملاكمة منتشرة في لغة السياسة التي يظهر بها بعض القسوة أو الصلابة، ومن ذلك أن يُنظر إلى الانتخاب على أنه- حرب بين اثنين من الأبطال" يكونان في أغلب الأحيان من الذكور، وعندما تم إعلان نتيجة الانتخاب البريطاني في عام 1997م كانت بعض الصحف تحمل عنوان "خلع الجوانتي" التي لا تعني مباراة ملاكمة فقط، وإنما تعني أيضًا وجود ضربات باليد، وفي الولايات المتحدة يتم استخدام استعارات من كرة البازبول- العب كرة جديدة للغاية"- رجل ألعاب"- يلعب الكرة"- الرجوع عند أول قاعدة".

[1].محمد سبيلا، للسياسة بالسياسة في الترشيح السياسي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000، ص17.

وهذه المصطلحات تستخدم بكثرة أيضًا في الأحاديث السياسية البريطانية، ولكن يمكن أن تدخل في ذلك ألعاب أخرى مثل لعب المضرب أن تجعل عينك على الكرة.. الضرب بلعبة مستقيمة.. أو غير ذلك [1].

وكذلك يستمد الخطاب السياسي الغربي من حقل الحرب الدلالي كثيرًا من مفرداته، ومن أوضح ما يمثِّل ذلك ما صرَّح به أنصار توني بلير رئيس الوزراء البريطاني بأنهم سوف يضربون الأرض جريًا"، وهي استعارة مأخوذة من قفز الجنود من الهليكوبتر وجريهم للدخول في المعركة، وذلك عندما كان مؤيدو بلير يرجحون أنه في خطر عام 1997م، فكان عليهم تأكيد أن حكومته سوف تعمل بجد في القضايا وقد استخدموا هذه الاستعارة التي أخذوها من الحقل الدلالي للمعارك.

وفي دراسة مقارنة بين الخطابين السياسي الأمريكي والسياسي البريطاني اتضح أن الصراع والمباني والرحلات هي أكثر الحقول الدلالية التي يستمد منها الخطابان معجمهما مع اختلاف طفيف فيما بينهما بالنسبة لشيوع مجال ما في أحد الخطابين.

[1].جورج كلاوس، لغة السياسة، ص47.

وقد علَّل أحد الباحثين هذا الانتشار الاستعاري المستمد من لغة الحرب في لغة السياسة بأن المعجم الحربي طال كل المجالات الأخرى، وأن ماهية السياسة نفسها هي ما يسمح بانتشار هذا المعجم الاستعاري في لغة السياسة دون غيرها من لغة الخطاب في مجالات مختلفة[1].

ومن السمات الدلالية التي يتميز بها الخطاب السياسي الغربي تغيير الحقول الدلالية بتغيير الواقع، فإذا قارنَّا ما بين لغة الخطاب السياسي الأمريكي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر وبعده، سنرى أن هذا الحدث كان سببًا في تحوُّل الخطاب السياسي الأمريكي من الحقول الدلالية الخاصة باللغة القديمة لغة حقوق الإنسان، وتوسيع فضاءات الديمقراطية وحقوق الإنسان وما شابه ذلك، واستبدل لغة جديدة بذلك هي لغة الأمن والمصالح المشتركة والضغط الفعال، وما ذلك إلا لأن اللغة القديمة استنفدت أغراضها وتآكلت مصداقيتها؛ بسبب الكثير من الثغرات في الممارسات الأمريكية في ملاحقة الدول والتعرض لها؛ بحجة الإساءة إليها ومعاداتها.

[1].د.محمد سبيلا، للسياسة بالسياسة في الترشيح السياسي، ص18.

أما لغة الأمن فإنها تمتلك العقول وتستأثر بالقلوب؛ لأنها تخاطب أولاً غريزة الإنسان للبقاء تلك التي تؤثر في المستمعين وتطرح عنهم اعتبارات الحرية، بالإضافة إلى أن التلفح بها يجري في خضم أحداث روعت الناس ولا زالت، كما أن هذه اللغة الجديدة تتواءم مع حالة الفزع السائدة، وتضفي على أدوات التوسل إلى الأهداف السياسية مشروعية تمنح السياسات الداخلية والخارجية معقولية ومقبولية[1].

كما يمتاز الخطاب السياسي من الناحية الدلالية بكثرة استخدام الصور المجازية التي تصور نوايا الغرب تجاه الآخر وتفضحها، وقد رصدت بعض الدراسات العربية التي اهتمت بتحليل الخطاب السياسي الغربي بعض هذه الصور، ومنها مجموعة من التشبيهات والاستعارات التي تلجأ إليها كل من أمريكا والكيان الصهيوني، تلك التشبيهات التي تحقر من شأن الفلسطينيين، وتسلبهم كل حق إنساني، فالفلسطينيون- من وجهة نظر أمريكا والكيان- جراد بالقياس إلى اليهود، وهي استعارة تشير إلى معنى الإبادة. ومن ذلك ما صرَّح به "شامير" أثناء انتفاضة عام 1987م؛ حيث قال:- "العملاق الإسرائيلي سيسحق القزم الفلسطيني"، وهذه بطبيعة الحال صورة مجازية، ولكنها عكس الصورة التي يود الصهاينة إشاعتها عن نفسها، باعتبارها داود الصغير الذي ينازل العملاق طالوت فيهزمه بمكره ودهائه، أي أن الصورة الجديدة تقوض القديمة[2].

[1].د.خالد عبد الله، اللغة الأمريكية الجديدة، جريدة الموقف، العدد 115، الرياض، أغسطس 2004، ص10.

[2]..د.عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز بين التوحد ووحدة الوجود، ص110.

وقد استخدم باراك صورة مجازية مماثلة ليبرر انسحابه من جنوب لبنان، فقال: إن الحرب ضد الإرهاب (أي مقاتلي حزب الله) مثل الحرب ضد البعوض، وهي صورة مَجَازية تهدف إلى تحويل المقاتلين إلى حشرات، وبالتالي تكون إبادتهم مسألة مقبولة، وهكذا يظهر أن اللغة مرآة فاضحة للنوايا والأفعال، فحين تسوء النوايا وتنتكس الأفعال تنحدر اللغة، وتسقط الكلمات[1].

وتتجلَّى في الخطاب السياسي الغربي سمة الاستبداد تجاه الآخر المخالف له، أو الذي لا ينطوي تحت عباءته، فيسبغ عليه العديد من الكلمات التي تنقص من قدره وتجعله معاديًا لها، ومن ذلك إطلاق كلمات مثل (الأصولي، الطاغية، الثيوقراطي) على الحكام أو الشعوب التي تخالف الاتجاه الأمريكي، سواءٌ أكانت المخالفة سياسيةً أم فكريةً، وهي ألفاظ ومصطلحات تتصل بحقل التسلط والاستبداد، ومن الأمثلة الواضحة في هذا الإطار أيضًا تعامل الخطاب السياسي الغربي مع بعض المصطلحات الإسلامية التي قام بسبكها، وهي في الوقت ذاته تحمل مفاهيمه وتلخص تقريبًا أفكاره وكيفية تعامله معها، فهناك مصطلح الأصولية"، وهو المصطلح الذي يحظى بتداول كبير يكاد لا يشاركه فيه غيره من المصطلحات، ثم هناك مصطلح الإسلام السياسي"، وهو مصطلح يكاد يتوازى مع مصطلح الأصولية، ثم هناك مصطلح الإسلام

[1].د.محمد داود، اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر، ص36 و 37.

الراديكالي" و"الإرهاب الإسلامي"، وهذا المصطلح يكاد يحل الآن محل مصطلح التهديد أو الخطر الإسلامي[1].

فالثابت أن الخطاب السياسي الغربي الذي يتناول الصحوة الإسلامية لا يهدف من خلال المصطلحات التي يستخدمها إلى التعرف عليها ولا يريد الوصول إلى معرفة الحقيقة؛ إذ إن مصطلحاته لا تنتمي إلى الحقل المعرفي، بقدر ما هي مصطلحات تنتمي إلى المجال السياسي الهادف إلى ترويج سياسة معينة تجاه الحركة الإسلامية، وهي سياسة الاستبداد، وكما يقول أحد الكتَّاب الغربيين: إن الخطاب الغربي حَوْل الإسلام كثيرًا ما يشدِّد على أن الإسلام غريب عن أوروبا، والتشديد على هذه الغربة يتكرر مرةً بعد مرةٍ في الإعلام الغربي، فإذا ربطنا مفاهيم مثل: العدوان، الحرب المقدسة، الرغبة في الاحتلال، خطر، وغيرها بالإسلام؛ فإن إحساسًا بالتهديد يظهر على ثلاثة محاور: النفسية، والثقافية، والدينية.

وفي نفس الوقت فلا ذكر لأي شيء يمكن أن يسهل من التواصل مع الثقافة الإسلامية، والخبراء يستبعدون من البداية عملية التواصل والفهم، ويشددون على الاختلافات التي لا يمكن إصلاحها[1]، وهذا ما يعني أن تعامل الخطاب الغربي مع هذه المصطلحات على هذا الفهم، إنما

[1].د.منصور بن زويد المطيري، مصطلحات الخطاب الغربي هل هي تعبير عن واقع أم تبرير السياسة؟ ص355.

يأتي لتبرير سياسة العنف والاستبداد التي ينهجها هذا الخطاب مع العرب وغيرهم.

ومما يؤكد ذلك أيضًا أن الخطاب السياسي الغربي ينحو نحو الاعتقاد بالتسليم بصحة كل ما يقال فيه، فبعد أن سقط نظام صدام حسين في العراق كانت هناك كتابات لبعض المثقفين العراقيين تندد بما كان من عدوان أمريكي سافر على العراق، فكتب أحد الساسة الغربيين، يقول:- كتابات هؤلاء تفرح الطاغية في وكره وتساعده في العودة إلى السلطة"، مشيرًا بذلك إلى موقف هؤلاء المثقفين وكتاباتهم، وهو ما يؤكد أن الخطاب السياسي الغربي وأصحابه يعتقدون عن قناعة أو عن سطحية أن خصومهم سيحملون نفس الصفات التي سيخلعونها عليهم، وأن الغرب قد آمن بهذه اللغة بعد تسييسها، أي وضعها في حقل التداول السياسي.

وحسب وصف الأستاذ حمزة الحسن الكاتب والروائي العراقي لهذا الموقف لا يمكن أن نطلق على مثل هذه الجملة إلا شعوذة سياسية من أصحاب اللغة السحرية السياسية الميتة، في عصر القرية الفضائية وبنوك الحيامن وتأجير الأرحام والتحضير للنفق الفضائي، فوكر الطاغية ليس سردابًا أو نفقًا أو مخبأً ماديًّا، بل هو عقلية وذهنية وطريقة تفكير وسلوك يصادر ويحذف ويهمش ويحكم، إلا أن الساسة الغربيين لا يريدون للعقل العربي ولا لمفكريه أن يناقشوا ويبحثوا ويسألوا[1].

[1]. .د.منصور بن زويد المطيري، مصطلحات الخطاب الغربي هل هي تعبير عن واقع أم تبرير السياسة؟ ص357.

ومما يذكر هنا أن إحدى الدراسات التي قامت على تحليل مضمون الخطاب الإعلامي الأمريكي في الحرب النفسية التي تشنها أمريكا تجاه العرب والمسلمين قد توصَّلت إلى أن 28تصريحًا من بين 216 تصريحًا حلَّلتها الدراسة أثناء التمهيد للحرب على أفغانستان كان محور مضمونه التلويح باستخدام القوة العسكرية، وهو ما يمثل نسبة 12% من مضمون هذا الخطاب، في حين توزَّعت باقي المحاور الست التي رصدها الباحث بين الحديث عن الصراع العربي الإسرائيلي، والعراق وأفغانستان والدول الأخرى المتهمة بالإرهاب والتحالف الدولي ضد الإرهاب، وهي موضوعات تتصل أيضًا بالتلويح باستخدام القوة العسكرية [1]، وهو ما يؤكد استبدادية الخطاب السياسي الأمريكي.

وإذا كان الاستبداد سمةً تظهر في دلالة الخطاب الغربي نحو الآخر الخارجي، فإن العنصرية سمة بارزة في دلالة الخطاب السياسي الغربي المختص بالداخل، وقد قاد فحص عينات مختلفة من الخطاب السياسي الغرب في الماضي والحاضر حول الأقليات العرقية الموجودة في بلدانهم وتحليلها في إحدى الدراسات إلى تصنيف هذا الخطاب الجديد من حيث مقصديته وآليات استدلاله إلى أصناف يمكن تسميتها بالإستراتيجيات (في مدلولها اللساني التداولي)، وهي:

[1].عبده علي عبد الله البحش، الحرب النفسية الأمريكية تجاه العرب والمسلمين دراسة تحليلية في مضمون الخطاب الإعلامي الأمريكي، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، 2005، ص149.

1- إستراتيجية التقديم الإيجابي للذات، أو كما يسميها الباحث "جوزيف غابل" إضفاء الصبغة المثالية على الذات، ويرتبط بهذه الآلية الاستدلالية في شكلها المزدوج نوعٌ من نزع المسئولية عن الذات وإلصاقها بالآخر.

2- إستراتيجية القلب: أي قلب العلاقة بين المقدمات والنتائج.

3- إستراتيجية صوت الشعب، وذلك للتعبير عن المعتقد العنصري مع نفيه في الظاهرة بإرجاعه إلى الشعب، لا إلى النخبة السياسية.. مما يعني أن الخطاب العنصري الجديد في الغرب، يختلف عن الخطاب الكلاسيكي، لا من حيث آلياته الاستدلالية فحسب، بل من حيث المضمون نفسه [1].

وتعد المراوغة، التي تقوم على بعض الحيل اللغوية، من أهم ما يتسم به الخطاب السياسي الغربي من الناحية الدلالية، حتى إن أحد الباحثين قد أطلق على الخطاب الصهيوني الأكاذيب الصادقة" وهو في ذلك يلجأ إلى بعض الحيل والأساليب البلاغية التي تسعى لإخفاء كثيرٍ من توجهاته الحقيقية، فهو خطاب يستند إلى مشروع استعماري معادٍ للتاريخ، ويحاول إضفاء الشرعية عليه وتسويغه، ومن أبرز حيل المراوغة في الخطاب الغربي[1]:

أ- إخفاء مرجعية المصطلحات والمفاهيم الكامنة وراءها؛ فالحيلة

[1].د.محمد سبيلا، للسياسة، بالسياسة في التشريح السياسي، ص42.

[2].د.عبد الوهاب المسيري، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، دراسة نظرية وتطبيقية، ص 53.

الأساسية في الخطاب الغربي المراوغ هي محاولة إخفاء المرجعية النهائية للمصطلح والمفاهيم الكامنة وراءه، فحينما يتحدث الصهاينة- على سبيل المثال- عن السلام" أو عن الحكم الذاتي"؛ فهم يُخفون تمامًا مرجعية هذه المصطلحات، فهل مرجعية هذا السلام هي قرارات هيئة الأمم المتحدة أم المفهوم الإسرائيلي" للسلام؟! وهل الحكم الذاتي للفلسطينيين يعني حق تقرير المصير أيضًا أم أنه يعني قيام سلطة خاضعة لتوجيهات النظام الصهيوني؟!

ب- محاولة تجاهل الأصول التاريخية أو تزييفها.. من الحيل الأساسية في الخطاب الصهيوني محاولة عزل الظواهر والمصطلحات عن أصولها التاريخية والاجتماعية والثقافية؛ بحيث يبدو الواقع كما لو كان مجرد عمليات وإجراءات وأحداث ليس لها تاريخ واضح ولا سياق تاريخي محدد، ومن ثم فليس لها سبب معروف أو اتجاه محدد، فالسبب لا علاقة له بالنتيجة، والنتيجة لا علاقة لها بسياقها التاريخي، والمعلومة لا تنضوي تحت نمط، ومن ثم يمكن أن يتحول الهامشي إلى جوهري والجوهري إلى هامشي، ويمكن فرض أي معنى على أية واقعة وأن توضع داخل نمط ما (عادةً ما يكون نمطاً يهوديًّا متكررًا).

فالصراع العربي الإسرائيلي- على سبيل المثال- ليس ثمرة العقد الصهيوني الصامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية، والذي قامت الدول الإمبريالية بمقتضاه بغرس كتلة بشرية غريبة في وسط العالم

العربي والإسلامي، وتحولت هذه الكتلة إلى دولة وظيفية تحتفظ بعزلتها وتقوم بضرب السكان الأصليين وجيرانها لصالح الراعي الإمبريالي، أي أنه صراع له أسباب تاريخية واضحة، وينضوي تحت نمط واضح، أي نمط الاستعمار الاستيطاني الإحلالي.

فالخطاب الصهيوني يتناسى عن عمدٍ كل هذا ويقدم الصراع العربي الإسرائيلي؛ باعتباره نتيجة رفض العرب لقرار التقسيم (وهكذا يتحول الهامشي إلى جوهري)، ونتيجة هجومهم الغاشم على اليهود المسالمين دون سبب واضح ومفهوم (وهكذا تتحول النتيجة إلى سبب)، وفي الإطار نفسه تُقَدَّم الصهيونية لا باعتبارها حركة استعمارية استيطانية إحلالية، وإنما باعتبارها تعبيرًا عن الحلم اليهودي الخاص بالعودة إلى صهيون أو أرض الميعاد، أو باعتبارها حركة إنقاذ يهود العالم من هجوم الأغيار.

ومن الطبيعي والحال كذلك أن تصبح المقاومة شكلاً من أشكال الإرهاب غير العقلاني وغير المفهوم، بينما تصبح هجمات إسرائيل على العرب مجرد دفاع مفهوم ومشروع عن النفس، ومن ثم فجيش الاحتلال الصهيوني هو جيش الدفاع الإسرائيلي، ويمكن أن يُطلق على هذه الحيلة اسم الأكاذيب الصادقة (بالإنجليزية: "ترو لايز" true lies؛ فهي صادقة بمعنى أن هجوم العرب هو حقيقة مادية لا مراء فيها؛ لأنها واقعة وقعت بالفعل، ولكنها أكاذيب بلا شك؛ باعتبار أن هجوم العرب على إسرائيل

ورفضهم قرار التقسيم ليس نتيجة عناد لا عقلاني، وإنما هو دفاع مشروع عن الحقوق الثابتة التي أقرتها المواثيق الدولية والقيم الأخلاقية.

وفي هذا السياق يمكن فهم بعض الحيل الصهيونية البلاغية الأخرى، فالإصرار على المفاوضات وجهًا لوجه باعتبارها الحل الوحيد والناجع للصراع العربي الإسرائيلي هو إصرار على إجراءاتٍ دون أية مرجعية أخلاقية أو تاريخية، وكأن الصراع أمر غير مفهوم ليس له أصل، وكأنه ليس هناك حالة من التفاوت والظلم ناتجة عن الغزو.

ج- تغليب عنصر المكان.. ويرتبط بالاتجاه السابق، أي إنكار الجذور التاريخية للظواهر، تغليب عنصر المكان على عنصر الزمان، فتتحول فلسطين إلى أرض والوطن العربي إلى منطقة، وتبحث إسرائيل عن الحدود الآمنة الجغرافية التي لا تأبه بالتاريخ، وتعبر نظرية الأمن الإسرائيلية عن هذا التحيز الشديد للجغرافيا والتجاهل الكامل للتاريخ؛ ولهذا فإن أية حركة من العرب تذكر الصهاينة بوجود عنصر الزمان (كماضٍ وتراث ومخزون للذاكرة وكحاضر وصراع وكمستقبل وإمكانية ومجال للحرية والحركة) تولد الذعر الشديد في قلوب المستوطنين الصهاينة وتسمَّى مثل هذه الحركة بالإرهاب.

د- النظر للظواهر الصهيونية من الداخل فقط.. عند التعامل مع أية ظاهرة يهودية، يلجأ الخطاب الصهيوني إلى عزلها عن الظواهر المماثلة في المجتمعات الإنسانية؛ فـ"الإبادة النازية" هي حدث وقع لليهود،

و"لليهود وحدهم"، دون الإشارة إلى ما حدث للغجر والمثقفين البولنديين والعجزة.

وبالمثل، يُنظر إلى اضطهاد أعضاء الجماعات اليهودية في روسيا القيصرية بمعزلٍ عن اضطهاد أعضاء الأقليات الأخرى، وكل هذا بقصد عزل الواقعة عن النمط؛ حتى يمكن فرض معنى صهيوني عليها، وهي أن الأغيار- كل الأغيار- يضطهدون اليهود، واليهود وحدهم، ومن ثم فلا بد من إيجاد وطن قومي يكون بمثابة مأوى لهم.

هـ- استخدام مصطلحات تبدو محايدة ولكنها تغيِّب التاريخ والواقع العربيين.. ومن الحيل الصهيونية البلاغية استخدام مصطلحات تبدو كما لو كانت بريئةً محايدةً تحلّ محلّ المصطلحات ذات المضمون التاريخي والإنساني العربي، ولعل أهم هذه المحاولات بطبيعة الحال الإشارة إلى فلسطين على أنها أرض بلا شعب، فهذه عبارة محايدة للغاية؛ ففلسطين قد لا تكون أرض الميعاد التي وعد بها اليهود، ولكنها ليست فلسطين أساسًا، وإنما هي مجرد أرض والسلام، مكان بلا زمان ولا تاريخ.

وتتبدَّى الظاهرة نفسها في الخلاف بشأن قرار مجلس الأمن رقم 242، فهو ينص في مقدمته على مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض بالقوة ويتعامل مع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة عام 1967 ويدعو إلى

الانسحاب منها، وعلى الرغم من ذلك طرح الصهاينة إشكالية الأراضي المعنية وهي أراضٍ كما في النص بالإنجليزية، أو الأراضي كما في النص بالفرنسية، وتمسكوا بطبيعة الحال بصيغة النص الإنجليزي لأنها تحيِّد الأرض وتفقدها حدودها؛ فتصبح كلها قابلةً للتفاوض.

وتظهر عملية التحييد في حديث الصهاينة عن التقدم في المنطقة" و"تحويل الصحراء إلى مزارع خضراء".. إلخ، دون أن يحدد لحساب مَنْ وعلى حساب مَنْ سيتم هذا التقدم، وقد لجأ مارتن بوبر إلى حيلة مماثلة في خطاب أرسله إلى المهاتما غاندي؛ إذ كتب له محاولاً تبرير الغزو الصهيوني، قائلاً: إن الأرض لمن يزرعها، وكأن المستوطنين الصهاينة مجرد فلاحين مسالمين وجدوا أرضًا فقاموا بحرثها وزراعتها في صبر وأناة، بينما يقوم العرب (اللئام) بالتنغيص عليهم!! وفي هذا إلغاء كامل لأصول الصراع واستخدام لمصطلحات تبدو محايدة، ولكنها في واقع الأمر تلغي التاريخ.

وكذلك تتبدَّى من دلالة الخطاب السياسي الغربي النزعة المادية، فالولايات المتحدة الأمريكية تنحو في خطابها السياسي والإعلامي نحو نزع مركزية الإله، ووضع مركزية بشرية أخرى يكون مركزها الولايات المتحدة نفسها، والرؤية الأمريكية تحاول أن تنزع معني الألوهية الذي يقوم على القيم الإنسانية، وتضع مكانها الرؤية المادية

المتمثلة في المصالح المادية في تأسيس العلاقات الإنسانية، ثم تحاول ضبط وتعديل نموذجها من خلال عملية الترشيد والضبط القانوني، ولكنها تلجأ إلى إنتاج رؤية لا تلتزم بالقيم إلا في حالة توافر أداة قمع إلى جانبها؛ لأنها منعت الأساس المطلق الذي تستند إليه هذه القيم وقتلته في النفس، واستبدلت الفردوس السماوي بفردوس أرضي.

ففي حرب العراق- على سبيل المثال- كان هناك صنفان للمثوبة، أما الجحيم فكان من نصيب بغداد، كما أنه من نصيب كل دولة ترفض الإيمان بالإله الأمريكي، طالما أن هذه الدولة المغضوب عليها ليس لديها القدرة على رفض هذا الجحيم، أما الفردوس الأرضي الأمريكي فهو حالة الرخاء التي تبشر بها حركة الأمركة بعد تحرير التجارة ورؤوس الأموال، ناهيك عن الفردوسات العاجلة من منح ومساعدات توزعها هنا وهناك؛ ضمانًا للموالاة وترهيبًا من عواقب الكفر[1].

ويتلوَّن الخطاب السياسي الغربي ومرماه بتلوُّن السياسة، وقد لجأ الرئيس الأمريكي بوش إلى ذلك في أوائل عام 2003م، وهو العام الذي تم فيه غزو العراق، فقد ألقى خطابًا في منتصف سبتمبر من العام نفسه، وكما يقول تشومسكي اللغوي الأمريكي صاحب النظرية التوليدية

[1].راجع مقالا بعنوان "التأله الأمريكي في العالم"، لكاتبه وسام فؤاد، على الموقع:http://www.islamonine.net/Arabic/contoporary/2003/04/articlea.shtuml

التحويلية، معلقًا على هذا الخطاب في حواره الذي أجراه معه مواطنه ''دافيد بارسيمان''، ونُشر على مجلة ''واعرباه ''الإليكترونية:- فإذا قرأته (أي الخطاب) ستجد أنه تكرار لما سبق باستثناء جملة واحدة فقط، هذه الجملة الواحدة إذا أمعنت فيها النظر فإنها تعطي خارطة طريقِه، تقول هذه الجملة: "بينما تتقدم عملية السلام ينبغي على إسرائيل أن تنهي برامج الاستيطان الجديدة"، فماذا تعني هذه الجملة؟ إنها تعني أنه حتى تصل عملية السلام إلى نقطة ترضي بوش، والتي لا بد أن تكون في المستقبل البعيد، حتى ذلك الوقت يجب على الكيان الصهيوني أن يواصل بناء المستوطنات، وهذا تغيير في السياسة، فحتى هذا الوقت كانت الولايات المتحدة تعارض- رسميًّا على الأقل- التوسع في بناء المستوطنات غير الشرعية التي تجعل التسوية السياسية مستحيلة.

لكن بوش الآن يقول عكس هذا.. استمر وابنِ المستوطنات، حتى نقرر نحن أن عملية السلام وصلت إلى نقطة مناسبة، وهكذا، كان هذا تغييرًا مهمًّا نحو مزيد من العدوان، وتقويض القانون الدولي، وتخريب إمكانيات السلام، وطبعًا لم يكن هذا هو أسلوب العرض، ولكن أمعن النظر في الكلمات، وهو ما يعني تلون دلالة الخطاب السياسي الغربي طبقًا لتلوُّن المواقف السياسية.

وأخيرًا، فإن الخطاب السياسي الغربي يلجأ إلى مجموعة من الوسائل التي تتخذ من اللغة مطية لها للوصول إلى أهدافه والوقوف عند مراميه، وقد رصد الدكتور محمد محمد داود أهم هذه الوسائل[1]:

أ- "الإقناع وخطط المستقبل"؛ حيث تقوم لغة السياسة في الغرب على الإقناع، من خلال إبراز الحجة بوضوح ودقة والتدرج في الحوار؛ تفاديًا للصدام مع الآخر عبر قراءة جيدة لهذا الآخر، وتاريخه السياسي، ونمطه التفكيري، وربما ظروفه النفسية، وواقعه ومشكلاته.. إلخ.

ب- "التبرير وجرائم الماضي"؛ وهي لغة تختص- في الأعم الأغلب- بما تم إنجازه من أحداث ومواقف فيها إساءة، أو ضرر بالآخر، وقد لجأ الصهاينة إلى هذه اللغة، حين برروا منعهم الإعلام الدولي من دخول مدينة "جنين" الفلسطينية؛ بحجة الحرص على سلامتهم، على الرغم من الإدانة العالمية لهذا المنع بوصفه اعتداءً على حرية الصحافة.

ج- "التهديد وسياسة الإكراه".. وهو أحد الوسائل اللغوية في السياسة التي تقوم على المصالح، فيكون معيار القوة هو مرتكزها، دون معيار القيم والأخلاق، ومن ثم تلجأ لغة السياسة إلى التهديد والتحذير لإرغام الآخر على الانصياع وعدم التمرد أو الصمود، وذلك كأن تلوح إسرائيل" مثلاً في خطابها السياسي بأسلحة الدمار، والخيار النووي، الذي تهدد به

[1].د.محمد داود، اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر، ص67.

دائمًا لغرض الأمن، وكذلك الحصار الاقتصادي الذي كانت تفرضه أمريكا من قبل على العراق.

د- "الإثارة"؛ إذ يستغل الخطاب السياسي الغربي المشاعر الملتهبة تجاه قضية ما ويثيرها، وقد يوظيف هذه القضية في خدمة طرف معين، مثل ما قامت به أمريكا بعد 11 سبتمبر من توظيف تلك الأحداث في استثارة الأمريكيين تجاه الآخر المهدد للقيم الديمقراطية؛ بغية شن عمل عسكري، أو ما يسمَّى "العمليات الحربية منخفضة الشدة".

هـ- التلويح بالمنافع والأهداف المرتقبة لدى الآخر كورقة ضغط، ومن ذلك إعلان الرئيس بوش دعم قيام الدولة الفلسطينية، عند بداية حربه ضد أفغانستان والمسلمين.

و- المداهنة والمهادنة.. وهو سلوك لغوي يتم اللجوء إليه في حالة الضعف والعجز عن المواجهة، مثل مواقف بعض الدول الغربية تجاه أمريكا و"إسرائيل"، والتي تلجأ إلى استخدام تعبيرات مثل "الاستنكار"، "الشجب".. إلخ.

ز- التضليل للآخر.. وذلك بوضع أسماء براقة للأعمال المفزعة، كإطلاق تعبير دول محور الشر" على "العراق، إيران، كوريا".

ح- تزييف الحقائق والمفاهيم لتناسب أهدافه، وهو وسيلة لغوية بارزة في الخطاب السياسي الغربي، ويكون ذلك من خلال ادعاءات وافتراءات"، مثل إعلان إسرائيل أن "حائط البراق" هو "حائط المبكي"، وأن اللغة العبرية هي أصل اللغات السامية، وأصل العربية ذاتها.

ط- "التحريض".. وهي لغة استفزازية تعتمد على الشائعات والمبالغة والتهويل وإثارة الرموز المهمة، وذلك على نحو ما تصنع "إسرائيل" في تحريضها الدائم لأمريكا والمجتمع الدولي ضد المسلمين، بدمغهم بتهم التطرف، الفساد، كراهية اليهود.. إلخ.

خـاتـمـة

بعد إلقاء الضوء على مفهوم الخطاب السياسي الغربي وأهم سماته اللغوية يمكننا أن نرصد هنا مجموعةً من النتائج، وتتمثل في:

1- أن الخطاب من الناحية الشمولية هو الوحدة اللغوية الأساسية التي تحمل مضمونًا معينًا في شكل جمل متوالية موجهة من باثّ أو متكلم (مرسل) إلى متلقٍّ بقصد الاتصال به، وإقناعه بمضمون رسالة أو إبلاغه بشيء ما، وهو تفاعل مباشر بين طرفي الاتصال.

2- أن الخطاب السياسي الغربي هو الخطاب الموجَّه عن قصد إلى المتلقي بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمونه، ويتضمن هذا المضمون أفكارًا سياسيةً، أو يكون موضوعه سياسيًّا، ويلجأ في الغالب إلى استثارة الرموز في عقول ونفوس المخاطبين من أفراد الشعب؛ كي يتمكن من تحقيق هدفه، ولا يكتفي ببثِّ رسالة فقط، وإنما يشكِّل الواقع؛ لأنه يصدر ممن يملك تغيير الواقع.

3- أن الهدف مقصد رئيسي في الخطاب السياسي الغربي على وجه الخصوص؛ لأنه خطاب له دوافع وأسباب يأتي رد فعل لها، وأنه وليد المناسبة أو السبب، فلن يأتي عن طبع أو سجية ترسله، فيعبر به صاحبه عما يجيش في صدره من حرارة العاطفة، بل قاله صاحبه ليحقق به

مصالح سياسية، فأعده وصنعه على أحوال الموقف الخارجي التي تكون دافعًا رئيسًا لإنتاجه.

4- أن أهم السمات الصوتية للخطاب السياسي الغربي هي البعد عن الأصوات المتنافرة، أو الثقيلة، أو الصعبة، وانتقاء الأصوات السهلة، المتآلفة، بجانب الاستعانة بالمؤثرات الصوتية كالنبر والتنغيم كإبراز الكلمات أو الجمل المهمة من خلال نبرها والضغط عليها، وكثرة الفونيمات المجهورة، والاعتماد على التكرار في بعض الأحيان.

5- أن أهم السمات الصرفية للخطاب السياسي الغربي، هي استخدام بعض الألفاظ التي أصابها التحول الدلالي وإضفاء المفهوم الجديد عليها، وتحويل دلالة بعض المصطلحات وتغيير دلالتها، بالإضافة إلى استخدام الأسماء في موضع الصفات، وغموض وتعقيد بعض المصطلحات، والنبوع من المركزية الغربية، والصدور عن رؤية دينية إنجيلية تتصل بالتراث اليهودي.

6- أن أهم ما يميز المستوى التركيبي للخطاب السياسي الغربي هو غموض المعنى المراد من التركيبات؛ إذ تُستخدم التراكيب التي تحمل أكثر من معنى، فقد يعني ظاهرها شيئًا، ويعني باطنها شيئًا آخر، بالإضافة إلى خطابية العبارة، وازدواجية التراكيب والتعبيرات،

واستعمال التراكيب المجازية القائمة على التقابل، وأخيرًا التكثيف والتركيز في بناء تراكيب الشعارات.

7- أما أهم السمات الدلالية للخطاب السياسي الغربي فتتمثَّل في تعدد الحقول الدلالية، وأهمها الحرب والرياضة، بالإضافة إلى تغيير الحقول الدلالية بتغير الواقع، كما أن الخطاب السياسي الغربي يكثر من الاعتماد على المجاز الذي يصوِّر نوايا الغرب تجاه الآخر، ويستند إلى مجموعة وسائل لغوية للوصول إلى أهدافه والوقوف عند مراميه، كما أن الاستبداد والعنصرية والمراوغة القائمة على بعض الحيل اللغوية والنزعة المادية وتلوُّن الهدف بتلون الموقف السياسي.. ملامح تفوح من دلالاته ومعانيه.

2. تحليل الخطاب السياسي، لسانيات النص

تتجه الدراسات اللسانية المعاصرة نحو دراسة الخطاب اللساني المنطوق والمكتوب على حد سواء. لقد بينت هذه الدراسات أن هناك فروقاً مهمة بين الخطاب المنطوق والخطاب المكتوب. إن الوظائف اللغوية التي تعمل في كلا الخطابين هي وظائف تتحدد طبيعتها من خلال ارتباطها بعوامل تفرضها الأنظمة الكتابية والشفهية نفسها رغم وجود تداخل كبير بين هذه الأنظمة كلها. وهذا ما جعل الباحثين يركزون على العلاقات القائمة بين هذه الأنظمة الكتابية والشفهية من جهة وبينها وبين أنظمة العلوم المعرفية الأخرى من جهة ثانية. وقد قادهم البحث في هذه الظواهر إلى محاولة بناء نظرية شمولية قادرة على تحليل الخطاب

اللساني، تقوم على أسس علمية معروفة في بناء النظريات الفيزيائية. هذه النظرية يحب علماء اللسانيات الاجتماعية أن يكون لها أبعاد علمية وجمالية في الوقت نفسه لكي تستطيع أن تمس جوهر الطبيعة الإنسانية القابعة في الخطاب اللساني.على الرغم من انقضاء حوالي نصف قرن على دعوة اللساني البريطاني جفري فيرث (J.Firth) الباحثين اللسانيين من أجل الالتفات إلى الجانب الكلامي في اللغة، لأنه حسب رأيه "المفتاح لفهم ماهية اللغة وكيفية عملها في الوقت نفسه"[1] إلا أن الدراسة الجدية للخطاب المنطوق ما زالت في بدايتها في حقل اللسانيات. والواقع أن الدراسات الحالية للخطاب المنطوق لم تكن من صنع اللسانيين، بل كانت من الإسهامات التي قام بها علماء الاجتماع وعلماء الأجناس (الأنثروبولوجيا) وعلماء النفس والفلاسفة. وعلى الرغم من أن اللسانيين كلهم يوافقون على أن "الاتصال الإنساني" يجب أن يوصف من خلال مستويات ثلاثة: هي المعنى، والمبنى، والجوهر، إلا أنهم يختلفون حول حدود اللسانيات: من أين تبدأ؟ وأين تنتهي؟

لقد أكد ج. فيرث (1951) أن "الاهتمام الرئيسي للسانيات الوصفية تسجيل الحالات الدلالية للغة"[2]. ولكن جزءاً مهماً من معنى الخطاب المنطوق هو نتيجة لتباين المستويين الصوتي والنحوي. ولكي نعزل التباين الدلالي في هذين المستويين علينا أن نستعمل اللغة استعمالاً

[1].Firth, J., The Technic of Semantics, in: Papers in Linguistics, 1934-1951, London. O,U,P, p7-33.

[2]. Ibid.

نظامياً، ولكن شريطة أن يكون هذا الاستعمال لغواً وهراء وكلاماً فارغاً في كلا المستويين الصوتي والنحوي.إذا وضعنا جملة مثل "ليشرب زيد ماء البحر" في هذين المستويين فإنها لا تفيد شيئاً... ولكننا إذا نقلناها إلى سياق معين فإنها ربما تفيد في ذلك السياق لتدل دلالة خطابية على شيء معين. ويعني هذا أن فيرث يعتقد أن اللغة في جوهرها طريقة في السلوك وطريقة لجعل الآخرين يسلكون هذا السلوك. ويتبع هذا أن على اللساني أن يهتم باللغة في حالتها السياقية أو حسب مصطلح البلاغيين العرب "في حالتها المقامية". إن اللغة عند فيرث ذات دلالة عندما تكون فقط في سياقها أو مقامها.

ومن جهة أخرى نرى اللساني الأمريكي "ليونارد بلومفيلد" يقود البحث اللساني في اتجاه مخالف تقريباً. فقد وضع المعنى جانباً مركزاً بدلاً من ذلك على المبنى. وطبقاً لرأيه فإن اللساني لا يستطيع أن يعرف المعاني أو يحددها، لذلك عليه أن يستعين بباحثين ينتمون إلى علوم معرفية أخرى [1]إن مسألة المعنى عنده مسألة متشابكة تحتاج إلى تضافر جهود معرفية كثيرة لحل إشكالياتها... إن جملة مثل "أنا جائع" يمكن أن يستعملها متسول جائع يستجدي الطعام، ويمكن في الوقت نفسه أن يستعملها طفل عنيد مشاكس يريد أن يتأخر في الذهاب إلى المدرسة عند الصباح أو إلى النوم عند المساء. لقد دافع "بلومفيلد" في كتابة اللغة عن

[1].Bloomfield, L (1933) Language, New York, Holt, Renihart, p43.

وجهة النظر هذه مؤكداً على اهتمام اللساني بالصفات الصوتية والنحوية والمعجمية المتجلية في النطق الإنساني عامة. فهو لا يريد للساني أن يشرح كيف يمكن أن يكون لجملة واحدة وظائف سياقية مختلفة ولا كيف يمكن للمستمع أن يفك رموز الخطاب لمعرفة معناه.

لقد ركزت اللسانيات البنيوية في أمريكا بعد بلومفيلد على المشكلات المتعلقة بعلم الأصوات وبالوصف الصوتي للغات وبعلم الصرف وبالوصف الصرفي للغات البشرية، ولا سيما المفاهيم المتلعقة بالفونيم والوصف الفونيمي على نحو عام. أي ما يسمى بـ"أساليب الاكتشاف" (Discovery Procedures) التي تهتم بعزل الفونيمات والمورفيمات ثم لتحديد الآلي- الميكانيكي لحدود الفونيم ثم تصنيف الكلمات... الخ. وعلى الرغم من أن "تشومسكي" اللساني الأمريكي كان قد أدار عجلة اللسانيات باتجاه دراسة الجملة، إلا أن الاهتمامات اللسانية في تلك الفترة كانت ما تزال منصبة على الوصف الشكلي للغات البشرية. يقول تشومسكي بهذا الصدد: "إن الهدف الأساسي للتحليل اللساني هو أن نعزل السلاسل النحوية التي تولد الجمل الصحيحة عن السلاسل غير النحوية التي تولد الجمل الخاطئة ثم أن ندرس البنية التركيبية لهذه السلاسل"[1].

[1].Chomsky, N (1957) Syntactic structure, The Hague Mounton,p29.

ولكي يثبت تشومسكي استقلالية النحو عن المعنى فإنه قدم مثاله الشهير الذي ليس إلا كلاماً فارغاً غير ذي معنى، على الرغم من أن بناءه وترتيبه سليم قواعدياً."Colorless green ideas sleep furiasuly" الأحلام الخضراء العديمة اللون تنام بعنف. لقد نقد تشومسكي التحليل اللساني السابق لأن مواد ذلك التحليل وعيناته، على الرغم من أنها كانت كبيرة، إلا أنها ليست ضرورية، ثم إنها لم تكن دقيقة وكافية... فهي لم تشمل أمثلة لكل البنى المحتملة في اللغة، أضف إلى ذلك أنها مواد خاطئة في مستوى الأداء اللغوي، وهذا الخطأ ناتج عن عوامل نحوية غير مناسبة كقصور الذاكرة، وشرود الذهن، والتبدلات في الانتباه والاهتمام، تلك العوامل التي تحصل عند الأشخاص الذين كنقد حصلنا على المواد اللغوية منهم. وعلى هذا فإن الاهتمام الرئيسي للنظرية اللسانية طبقاً لتشومسكي ينبغي أن ينصب على معرفة "المعرفة العميقة غير الظاهرة للمقدرة اللغوية الموجودة في الدماغ عند المتكلم والمستمع". تلك المقدرة التي يشترك فيها كل بني البشر، والتي يمكن للساني دراستها من خلال انعكاساتها في "الأداء اللغوي" (الإنجاز).

والواقع أن الإسهام الذي حققه تشومسكي وأتباعه كان عظيماً في حقل اللسانيات، إلا أنه مع مرور الزمن بدأت المشكلة اللسانية تتفاقم لتصبح أكثر جدية ودراسة. فالمشكلة حسب رأي نقاد تشومسكي لا تكمن فقط في المفهوم المثالي للمقدرة اللغوية، وإنما تكمن أيضاً في نسبية هذا المفهوم. لذلك أصبح من الضروري أن نتحدث في اللسانيات التوليدية عن درجات

القواعدية ودرجات القبولية في اللغة، فهناك أمثلة مهمة وحاسمة اعتبرت على أنها غير نحوية ولكنه تبين أنها "مقبولة في لهجتي أنا". وهكذا، وبمرور الزمن، فإن اللسانيين الاجتماعيين الأمريكيين (Sociolinguistics) في أواخر الستينات أمثال روز، ومكولي، ولايكوف، بدأوا يثبتون أن اللساني لا يستطيع أن يدرس النحو بمعزل عن المعنى. وطبقاً لرأي لايكوف (1972):"لكي نعرف عمل قواعد لغوية عدة على نحو صحيح علينا أن نرجع إلى السياق الاجتماعي للغة، وكذلك إلى الخلفيات والافتراضات التي يضمنها المتحدثون المشاركون في الخطاب"[1].

وأخيرا، وبموجب طبيعة دراستي المتواضعة، المتمحورة حول الدراسة السوسيولسانية للخطاب السياسي الجزائري، وجب علي العرج على منهجان أساسيان يعتمد عليهما في مثل هذه الدراسات، منهج تحليل الخطاب في إطار مدرسة التحليل الثقافي، ومنهج تحليل الخطاب الاجتماعي الادراكي.

[1].Lakoff, R (1972), Language in Context, in Language, p907.

- منهج تحليل الخطاب في إطار مدرسة التحليل الثقافي:

في رحاب مركز الدراسات الثقافية المعاصرة generic Cultural analysisتأسست مدرسة التحليل الثقافي العام 1964 بجامعة برمنجهام في بريطانيا، إلا أن أصولها ربما ترجع إلى نهاية الأربعينات ومطلع الخمسينات، ومن أبرز أعلامها Richard Hoggert و P Thompson و Stuart Hall ، لكن الأكثر أهمية في تأسيس هذه المدرسة التي ربطت بين الثقافة ربما كانت أعمال raymond Williams والإعلام في إطار اهتمامها بتحليل معنى الثقافة، وتحول الثقافة إلى سلع تنتج وتوزع على نطاق واسع في ظل المجتمع الرأسمالي، وهنا ظهر مفهوم الثقافة الجماهيرية المادية، وكيف أن وسائل الاتصال الجماهيري تلعب دورا بالغ الأهمية في إنتاج وترويج الثقافة الجماهيرية وعلاقة ذلك بأسلوب الحياة والأيديولوجية والوعي في المجتمع[1].

وفي إطار اهتمامات مدرسة التحليل الثقافي بالإعلام ظهرت كثير من البحوث التي تناولت بالتحليل الخطاب الإعلامي من زاوية تأثيره في خلق أو تغييب الوعي لدى الجمهور، وكذلك دور الخطاب الإعلامي في عملية التفاعل الاجتماعي، وقد طور "ستيورات هال" مفهوم الضمنية والتصريح والتغيير في اللغة، وأكد أن المعنى هو نتاج العملية الجدلية بين النص والقارئ في سياق اجتماعي وتاريخي معين، وخلص إلى أن وسائل

[1].يوسف الطعاني، اللغة كأيديولوجية، مجلة الفكر العربي المعاصر، لبنان، ص 75.

الإعلام لا تعكس الواقع وإنما تقوم بإنتاجه عبر المعاني والاختيارات الأيديولوجية التي تنتجها أو تروج لها، ومن نظرة متعددة الوظائف للنص. واستفادت بحوث تحليل الخطاب في هذه المدرسة من أعمال Goffman التي طورها Halliday ، كما اقتحمت مجالات جديدة ، حيث تناولت الحوارات المفتوحة مع الجمهور في برامج الإذاعة والتلفزيون، كما قام "تولسن" بدراسة تطور عمليات إجراء الحديث، وخلص إلى أن هذا التطور أدى إلى تجزئة الجماهير، ويمكن القول أن باحثي التحليل الثقافي العام قد استخدموا مناهج وطرق في تحليل الخطاب قريبة من تحليل المحادثة إلا أنها تختلف معها في النظرة الشاملة للمحادثة في وسائل الإعلام في علاقتها بالمجتمع، حيث تربط بين تحليل المحادثة وبين الأيديولوجية وعمليات السيطرة في المجتمع[1].

[1]. يوسف الطعاني، اللغة كأيديولوجية، ص 77.

- منهج تحليل الخطاب الاجتماعي الإدراكي

ارتبط هذا المنهج بأعمال الباحث الهولندي "فان ديك" في تحليل الأيديولوجية والخطاب السياسي والخطاب الإعلامي، والذي ربط فيه بين الجوانب النحوية والتركيبات اللغوية والسردية والإدراكية في دراسة النص، بالإضافة إلى استخدام مناهج تحليل الخطاب، وربما يرجع الطابع التكاملي لمنهج "فان ديك" إلى جذوره الأولى حيث دعا في السبعينات من القرن الماضي –وقبل تحوله إلى مجال تحليل الخطاب- إلى ضرورة اهتمام نظريات تحليل النص وتحليل الخطاب الإعلامي بالنصوص ذات الصلة وسياق النص، كما دعا أيضا إلى الجمع بين المؤشرات الكمية والكيفية في تحليل الخطاب، من هنا توسع في تحليل عينات كبيرة نسبيا من الأخبار والمواد الإعلامية.

يمكن القول "أن فان ديك" قد انتقل إلى مجال تحليل الخطاب في مطلع الثمانينات من القرن الماضي، حيث بالتكوينات الخطابية لتحليل الخطابات الإعلامية مع الأخذ بعين الاعتبار كل المستويات والأبعاد الكلية والجزئية داخل النص، كالتنظيم العام للنص، والفكرة الرئيسية، والبنية التخطيطية للنص، والبنية الجزئية والتي تشمل الكلمات وتركيب الجمل والآليات البلاغية والدلالات اللفظية والقيم الإخبارية...إلخ. وركز "فان ديك" على عملية إنتاج واستقبال النصوص وفق نموذج إدراكي أطلق عليه البنية أو البنيات الفوقية superstructures التي تسكن النصوص الإعلامية، في الوقت ذاته فإن النصوص الإعلامية تعبر مركز تجمع ووسيلة إظهار لهذه

البنيات الفوقية، من هنا اهتم "فان ديك" بدراسة Fairclough الخطاب السياسي والأيديولوجية المعلنة والمضمرة التي يحملها الخطاب الإعلامي بكافة أشكاله[1].

ويرى "فيركلاو" أن "فان ديك" قام بتطوير نموذج لتحليل الأخبار المنشورة في الصحف بصفة خاصة باعتباره خطابا مكونا من ثلاثة أبعاد هي النص، وممارسة الخطاب، والممارسة الاجتماعية الثقافية، ويعتبر التركيز على ممارسة الخطاب وسيلة لربط التحليل النصي بالتحليل الاجتماعي – الثقافي، ويتابع أن أبحاث "فان ديك" مثل الدراسات السيميولوجية الاجتماعية أنجزت انتقالا مهما من تحليل النص[2].

[1]يوسف الطعاني، اللغة كأيديولوجية، ص 79.

[2].المصدر نفسه، ص80.

3. خـــلاصـــة الفـــصـــل

لقد حاولت من خلال هذا الفصل، سرد أهم المناهج اللغوية المعتمدة في تحليل الخطاب السياسي، قديما وحديثا. أما ما يخص هذه الدراسة، فقد ارتأيت، كما سبق لي أن أشرت، تطبيق المنهج السوسيولساني، كونه يجزئ الخطاب إلى ثلاثة أبعاد: النص، وممارسة الخطاب، والممارسة الاجتماعية الثقافية، ويعتبر التركيز على ممارسة الخطاب وسيلة لربط التحليل النصي بالتحليل الاجتماعي – الثقافي.على هذا الأساس، يرتكز البحث الذي أخوض فيه. فدراسة الخطاب السياسي الجزائري دراسة سوسيولسانية، يتطلب مني دراسة هذا الأخير في قالبه السوسيوثقافي، حتى يمكنني التعرف الدقيق على مدى اعتماد أو عدم اعتماد السياسي الجزائري على هذان الجانبان في إستراتيجية ترتيب الخطب السياسية. بمعنى، هل يأخذ السياسي الجزائري، بعين الاعتبار، الجانب الثقافي للمجتمع الجزائري، الغني بعاداته وتقاليده ولهجاته... حتى يستطيع تمرير رسالته، أم أن الأمر غير ذلك؟

هذا ما سيظهر جليا من خلال التحليل الذي سوف يرد في الفصل الثالث والأخير، أين سأحاول الخروج بنتيجة باستطاعتها الإجابة على إشكالية هذه الدراسة المتواضعة.

الفصل الثالث

التحليل السوسيولساني للخطاب السياسي الجزائري ما بعد 1988م

.تـمـهيـــد

إن المتأمل في عالم اليوم يلاحظ كثرة الخطب والمداخلات الصحفية للسياسيين، عبر العالم، هادفين من وراء ذلك إما لتمرير أيديولوجيات سياسية معينة، أو للدفاع عن أحد القرارات السياسية أو الاقتصادية.

لقد تفطن الغرب منذ الحرب العلمية الثانية، إلى القيمة الإستراتيجية للخطاب السياسي، لذا فتح المجال أمام الدراسات الخاصة بالخطاب السياسي، مما تمخض عنه العديد من النظريات التي تحلل هذا الأخير.

في العصر الذي نعايشه، أصبح الخطاب السياسي الورقة الرابحة في يد القوى العظمى كالولايات المتحدة الأمريكية، فبواسطة عملية انتقاء الألفاظ المناسبة وطريقة إلقائها، استطاع الرئيس الأمريكي "بوش الابن" أن يخدع العالم بأسره في عملية غزو العراق، كما تحصل على تفويض عالمي يسمح لهذا البلد، بالتدخل في شؤون البلدان القومية بذريعة مكافحة الإرهاب. فالخطاب السياسي الأمريكي يحبك بدقة كبيرة، بمشاركة علماء النفس وعلماء الاجتماع واللسانيين والسياسيين ... والهدف هو إقناع المتلقي ولمس مشاعره و أحاسيسه، من أجل تمرير الرسالة المراد إيصالها حسب الظروف والمعطيات. هذا ما أصبح يطلق عليه التسويق السياسي، ضمن المصطلحات المعمول بها في حقل السياسة.

وكلمة تسويق في اللغة العربية تقابلها في الإنجليزية والفرنسية لفظة " ماركوتينغ " وهذه اللفظة لا تعني السوق أو التجارة ، وبالتالي

فالتسويق السياسي لا يعني بيع وشراء السياسة بل، تعني وبكل بساطة ،كيفية إيصال الخطاب والأفكار والمبادئ إلى عموم المواطنين من طرف الأحزاب والتنظيمات السياسية، ومنه فإن التسويق السياسي هو الطريقة التي تمكن أي تنظيم سياسي من إيصال خطابه وأفكاره إلى المواطنين. فالتسويق السياسي، هو مجموعة الطرق التي تستخدمها التنظيمات السياسية لتحديد الأهداف والبرامج من أجل التأثير على سلوك الناخبين والجمهور السياسي بصفة عامة.

لقد تنبه السياسيون عبر العالم لما للخطاب السياسي من أهمية، فهي العصا السحرية التي – إن أحسن السياسي استعمالها – تحققت له أهدافه. ولعل الجزائر أحد تلك الدول التي بدأت تتنبه لهذا الأمر، ولعل المحاضرة التي قدمها السيد "عبد العزيز بلخادم " تحت عنوان "فنيات الخطاب السياسي"، يوم 2010/02/28 خير دليل على ذلك. فقد أكد السيد "عبد العزيز بلخادم" الأمين العام "لحزب جبهة التحرير الوطني"، ان رهان الحزب في الفترة الراهنة يرتكز على تنظيم دورات تكوينية للشباب المناضلين، تشمل الممارسة السياسية وفن الخطابة والتبليغ السياسي، الذي من شأنه أن يساهم في تبليغ رسالة نوفمبر وضمان انتشار واسع لهذا الحزب الذي يحظى بالأغلبية في البلاد. كما اعتبر أن الاهتمام بفئة الشباب، يعد تأييدا على تواصل الأجيال داخل FLN على عكس ما يدعيه البعض.

استهل الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني مداخلته، خلال الندوة الجهوية التكوينية لمحافظات الغرب، بالحديث عن البرنامج التكويني الذي شرع فيه مباشرة بعد المؤتمر التاسع، حيث أكد أنه برنامج نابع من قناعة أساسها أن FLN يملك رصيدا يمكنه من الانتشار، وذلك عن طريق تكوين الشباب المناضل وأن لا يكون هذا التكوين عبارة عن حشو للأدمغة، وإنما تدريب وتدريس قائم على أساس علمي وأكاديمي، تضاف إليه الممارسة السياسية.

ومن هذا المنطلق قال الأمين العام: «إن السياسة لا تبلغ أهدافها إلا عن طريق فن الخطابة، وأنتم مطالبون بالتحكم في تقنيات وفنيات الحديث والتبليغ السياسي لتبلغوا رسالة الجبهة إلى الآخرين، عليكم أن تتمكنوا من الأداء الجيد عن طريق تعلم هذه الفنيات، إن ما نريده من هذا اللقاء هو إطلاع الشباب على أبجديات الخطابة السياسية.»[1]

واستطرد السيد "بلخادم" حديثه بالكلام عن تقنيات الخطابة، حيث اعتبر أن التحكم في فن الخطابة شرط أساس لتبليغ أدبيات الحزب وبرنامجه وكذا رسالة نوفمبر، كما أنه سيسمح لا محالة بإقناع الآخرين من أجل الانضمام إلى FLN

وبالتالي تحقيق هدف الانتشار الذي يسعى إليه الحزب .

[1].محاضرة تحت عنوان "فنيات الخطاب السياسي"، قدمها السيد عبد العزيز بلخادم، الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني الجزائري، يوم 28-02-2010.

وأضاف "بلخادم" قائلا، «إن السياسة إن لم تكن مقرونة بالتبليغ فلا يرجى منها شيء، والتبليغ يتم عبر وسائل متعددة وبالأساس فن الخطابة.» وفي مراسلة وجهها للشباب أكد أن العمل على تطوير مهارات الخطاب السياسي شرط أساسي لمسؤولي الغد الذين سيحملون على عاتقهم تبليغ رسالة الحزب.

وأوضح الأمين العام أن فن الخطابة الذي يجد له مكانا بين الموهبة وما بين ما هو مكتسب من خبرات يتطلب العمل على التوفيق بين ما هو فطري وما هو مكتسب. وهنا قدم المتحدث نصائح للشباب، تلخصت في ضرورة الإحاطة بموضوع الخطابة، الإعداد الجيد للنص، المهارة اللغوية، تحديد الهدف من الرسالة التي يراد تبليغها، الثقة بالنفس، الصدق، بالإضافة إلى مراعاة حال المستمعين، ومدى تركيزهم، والإيمان بما يقوله الشخص الذي يلتزم بالخطاب. وفي الأخير يبقى أن أي متلق ناجح يجب أن يكون مستمعا جيدا.

وقد أكد السيد الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني الجزائري، خلال هذه المحاضرة على أهمية انتقاء الكلمات المناسبة، نظرا للدور المهم الذي تلعبه هذه الأخيرة في عملية تبليغ الرسالة المراد إيصالها إلى المتلقي، فقال « الكلمة هي التي تمكننا من تبليغ الرسالة...» . وفي هذا الإطار، ركز السيد "بلخادم" على الجانب الثقافي والاجتماعي للمتلقي حين قال: «يجب أن نتمكن من فضاءات شعبنا حتى نتمكن من تبليغ الرسالة. » فانتقاء كلمات وعبارات الخطاب يجب أن يؤخذ فيها الجانب

الثقافي والاجتماعي للمتلقي، بعين الاعتبار، حتى تمر الأفكار ويتبناها المجتمع. فالخطاب السياسي مرادف للسلطة وللرغبة في السيطرة، السيطرة على قلوب وعقول المستمعين و"تنويمهم" كلاميا، وذلك بتوظيف متواليات كلامية عن طريق اللعب باللغة لإنتاج خطاب يدفع الجمهور إلى تبني أفكار، وتعديل وترك أخرى. على أساس هذه النقطة تمحورت إشكالية دراستي المتواضعة هذه. **فهل يمكن اعتبار اللغة أحد نقاط الضعف أو القوة في يد السياسيين الجزائريين؟ أي، هل يولي السياسيون الجزائريون أهمية للخطاب السياسي، وبالتالي انتقاء اللغة التي يسهل تمرير الرسالة بواسطتها لكل فئات المجتمع الجزائري، المتميز بثقافاته ولهجاته المختلفة؟** من خلال التحليل الذي سيلي، سوف أحاول الخرج بالنتيجة الملائمة.

سوف أعمد في تحليلي للخطاب السياسي الجزائري، إلى مفهوم **"المكانة"** المسندة إلى الباحث "ماركونو" وسنجمل أهم القواعد التي تحدث عنها في كتابه "تحليل الخطاب"[1].

يفسر "ماركونو" المكانة بقوله : "المكانة التي تسند الخطاب هي مجموعة من السمات الاجتماعية .. لكنها حولت إلى متتالية من التشكيلات التخيلية المعنية للمكانة، حيث (أ) و(ب) مرسل ومرسل إليه، يسند كل واحد منهما لنفسه وللآخر الصورة التي يكونها عن مكانته الخاصة ومكانة الآخر".

[1].د. محمد بن سعدو، مقدمة في الاتصال السياسي، مكتبة العكيبان، الرياض، ط1، 1997، ص 45.

بتطبيق هذا المنهج ومقوماته في هذه الدراسة، سوف أبين عملية إنتاج الخطاب السياسي الجزائري استنادا إلى الخصوصية الثقافية للمواطن، وبالتالي عملية تقبله من طرف هذا الأخير.

حدد "ماركونو" ثلاث مقومات لا تعدو أن تكون أسئلة تشكل منطق تشكيل الخطاب وتقبله، وهي[1]:

1- "من أكون حتى أكلمهم هكذا؟" انتقاء الألفاظ والكلمات الدالة على الثقة في النفس، والشعور بالمسؤولية صوب المستمع.

2- "من يكونوا حتى أكلمهم هكذا؟" لكي يكون تأثير الخطاب قويا ويساهم في تحقيق وظائفه، لا بد أن يستحضر السياسي كينونة ومكانة المخاطب. هذا الفهم الذي يخلق نوعا من د. محمد الانسجام والتناغم بين السياسي والمستمعين.

3- "من يكون حتى يكلمنا هكذا؟" يعني هذا السؤال استحضار الملقي لنقطة مهمة، هي أن المستمع يجب أن ينظر إليه باعتباره رمزا أو كيانا أو ضامنا للوحدة أو مدافعا ... هذه الأمور يستغلها المخاطِب لينقل للمستمعين صورة الرجل المدافع عن حقوقهم والحامي لأموالهم وممتلكاتهم وأرضهم.

[1]بن سعدو، مقدمة في الاتصال السياسي، 46.

2.تحليل الخطاب السياسي الجزائري (مرحلة ما بعد 1988، مرحلة التعددية الحزبية)

في الجدول الآتي، سوف أحاول تصنيف الخطب السياسية الجزائرية التي تمكنت من جمعها، ثم أقوم بتحليلها لاحقا من أجل الخروج بنتيجة نهائية في الأخير.

في هذه المرحلة من الدراسة، سوف أسرد جميع الخطب التي تسنى لي جمعها بالترتيب، حيث سأخص كل خطاب برقم، حتى يتسنى للقارئ الكريم العودة للنص إن كانت لذلك ضرورة، هذا الأخير يستعمل في الجدول للدلالة على الخطاب المراد تحليله.

*خطب السيد عبد العزيز بوتفليقة، رئيس الجمهورية الجزائرية

(1) "بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين ... أيها الأخوات والإخوة، إخواني الكرام... هناك شباب يرى مستقبل أسود وفقد الأمل، أنا أقول أن الأمل كل الأمل جَايْ جايْ جايْ بإذن الله، الأمل في سواعد الرجال ما يَنْزَلْشْ مْنَ السماء كالمطر وَ لْخَدْمَة ما هِيشْ عيب، ... ما تَمْشِيشْ ادخَّنْ زوجْ باكِيَاتْ تَاعْ ادُخانْ وَ تْقوُلِ نْديرْلَكْ ستة قْطاراتْ... نحن شاطرين في كل شِي لكن ما نعّرْفوشْ التسْييرْ عَنْدْنا سِياسة الإتِكالْ ... يدِي وْ يَدَكْ وَ نْحلوا المشاكل... المقترح الأول المصالحة الوطنية، لا نُهمش ولا نقصي... أمد يدي لكل من ندم على فعلته إنني لأنحني بخشوع ... لا

يعني أنني لا أنحني بتخشع، لا يعني أني شادْ نَفْسي على باشْ نَبْكي على ضحايا الإرهاب ... لا بد من عدم الاتكال على الدولة في حل المشاكل ... مانيشْ مَتْيقَنْ بلي راكْ مَقْتانَعْ بالنظرية دْيالي ...لأنك تْوالَفْتْ ... J'ai le regret de l'annoncer une autre fois الدولة فَلْسَتْ وَلْبَقْرة فَلْسَتْ هَدي ماجْ ماجَتْ وَبْحارْ هاجَتْ وبّابَرْ مْقَلْبَة والله يْسَلكْها على خير... "

(2) "بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين، أيها الأخوات والإخوة، إخواني الكرام ... أنتم تكرمون الضيف وتحمون من يلجأ إليكم، ما من أحد يلجأ إليكم... خايَفْ نْموتْ وْ ما تْصيبوشْ مَنْ يْدبّرْ عْليكُمْ، نْجاوْا مَنْ تْعَلْموا لَحْجامَة عْلى راسْ لَيْتامة... جاءت اللبرالية المزيفة ولْحقيقة لازمْ تُقال ... التنمية معناها الاستهلاك من أجل الاستهلاك، جابولْكُمْ البَرْقوقْ وْجابولْكُمْ قَلْبْ اللوزْ وْ جابولْكُمْ لْكيوِي...ألي دَرْباتُ يَدُ ما توَجْعُ، أخطئوا وأخطأتم ...ما فيشْ تصحيح للأخطاء إذا الإنسان ما صححشْ روحُو... أنا مَانيشْ مالناسْ لي يَسْتَعْطْفوكُمْ باشْ تَعْطيوْهُمْ أصْواتْكُمْ... "

*خطب الأحزاب السياسية المشاركة في الحملة الانتخابية الخاصة بالانتخابات التشريعية 17ماي 2007

(3) حزب عهد 54 ، "علي فوزي رباعي":

"البَحْبوحَة هَديكْ نْتاعْ ...لازَمْ بِيهَا نْدَعْمُو لَفْلاَحَة... لاَزَمْ نْديرُوا وْزِينَاتْ... هَادْ شِي مُمْكِنْ لكن لاَزَمْ لاَزَمْ... شَعْبْنَا مَا زَالُوا فَقيرْ... ارْجالْ أَلّي ماتَتْ وْ ضَحّاتْ باشْ اشّعْبْ هَدايَ يْعيشْ بْكَرامْتُ وْ حَتّى واحَدْ مَا يْزيدْ يَسْتَعْمَرْنَا... نَطْلَبْ مَنْكُمْ ادِّيرُوا ثِّقَة في حزب 54."

(4) التجمع الوطني الديمقراطي RND "أحمد أويحي":

"إِذا كَانْ الفَلاّحْ تْعَبْ ماهي فَايْدَة الدولة...قالْ الشِي لِّي سَلَّفْتُ تْرُدُّ، نَعْطُوكْ ثَلْثْ سْنِينْ سْنينْ زْيادَة... هذه إمكانيات لتشجيع الفلاح من رفع القوت...هَذْ الأجهزة نْتاعْ تدعيم التشغيل... كي تَدْرَسْ اللجنة قاعْ الملف ...5000 مؤسسة مَعْناهْ 5000 بطال يْوَلِّ مْعَلَّمْ عَنْدْ رُوحُ."

(5) التجمع الوطني الجمهوري "عبد القادر مرباح":

"عند التجمع الوطني الجمهوري نَمْنَعْ أَنْفُسْنَا التفكير في النفس، نعم للديمقراطية، نعم لاستشارة الغير... شعارنا الوفاء لجزائرنا الحبيبة، لشهدائنا ..."

(6) حزب الإصلاح الوطني "محمد بو لحية":

"و لهذا إخواني عليكم أن تعبروا ... تْرُوحُوا تْصَوْتُ...وَلاَّ يْروحْ يَنْتَخَبْ عْلَى شَخْصْ... أو ممكنْ يَلْقاهْ مَنْ بَعْدْ...

تْرُوحْ للنَّاسْ لِّي يَسْتَاهْلُوهْ...نْتَ رَاكْ مْحَاسَبْ عْلى صُّوتْ لِّي تْمَدُّ... "

(7) حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية "سعيد سعدي":

"إذن إخواني حْنَا في لْبَرْلَمَانْ عَنْدْنَا مَواقِفْ حزبية... ولكن رَانَا في مرحلة سياسية صْعِيبَة...القضية هَادِي نْتَاعْ الرشوة لاَزَمْ...قُلْنَا بَاشْ...لحد الآن ليس هناك لّي يْقولْ...بَاشْ...كِيفَاشْ..."

(8) حزب العمال "لويزة حنون":

"قرارنا بالمشاركة ينطلق من...وحزب العمال كان الحزب الوحيد أَلِّي عَارَضْ... وْهَدِ مَا كَايَنْ حتى بْلاَدْ ادّيرْهَا..."

(9)حركة مجتمع السلم "أبو جرة سلطاني":

"حركة مجتمع السلم مُلْتَازْمَة ... ولكن بالتداول على السلطة... ناسْ يَخَّدْمُ فَلْخَفَاءْ... إذا عْرَفْتْ هذان المسألتين...جيل جديد يْسَمُّوهْ جيلْ لْإِسْتِقْلالْ ... هَدْ لْجيلْ يْقولْ خَلِّيوْنَا نَوَّصْلُ لَلْحُكْمْ..."

(10) حركة الإنفتاح "عمر بوعشة":

"المناطق الصحراوية هي صالحة للزراعة وَحْنَا نَعَّرْفُ أَنُّ بَاشْ نْقَسَّمْ الأراضي ...وتمكينهم بالمعدات...الشعب الجزائري هو أُلّي يَاخُذْ الموقف...خَمُّوا عْلَى وْلاَدْكُمْ... ما هو المصير إذا كُنْتُ تَسَنَّاوْ..."

(11) حزب التجديد الجزائري "كمال بن سالم":

التغيُّر الِّي يطمحْ لِيهْ الحزبْ...وَ رْجَالْ أَلِّي يَخَّدْمُ لَبْلاَدْ...حْنَا مَا نَطَّلْبُوشْ غير الشهادة... مَتْغَلْغْلِينْ فَالقاعدة...إِنَّ تَأْسيسْ واعتبار حزب...الهدف الأول مَنُّ هو خدمة الجزائر..."

(12) حزب العمال الاشتراكي "صالحي شوقي"

لْخَدَّامَة يَحْتَاجُو الإحترام...وَ عْلاَشْ لَحْمَرْ فِي لَعْلاَمْ...بَصَّحْ لَمْعَلَّمْ قالْ... نَبْعَثْ خُويَ يَهْدَرْ فِي بْلاَصْتِ... لْخَدّامْ لِي مَاشِي مْدِيكْلاَري ...لَبْريفِي، شُفُو لْوَزْنَواتْ في أوروبا... تَلْقَاوْ..."

(13) حزب التجمع الجزائري " علي زغدود":

البرنامجْ نْتَاعْنَا رَاهُ برنامج ثري...أنا كِي نْقُولَّكْ رَانِي نَخْدَمْ مصالح هذا أو مصالح ذاك... يَلْزَمْ الشعب الجزائري كُلُّ يْرُوحْ وَلِّ مَا يَنْتَخَبْشْ رَاهُ خْسَرْ...رَاهُ يْحَقَّقْ... خْتُارُوا نَّاسْ أَلِّي يَخَّدْمُوكُمْ..."

(14) حركة الديمقراطية الاجتماعية "حسن علي":

نْهَارْ الجزائر... قالْ لاَزَمْ نْحقُّ... وْ تَرْتَفِعْ الأجورْ نْتاعْ العمال...لكن النمو ما عدى قطاع المحروقات مازالْ الأمور جامْدة...حْنا مَتْيَقْنينْ ...سواء من خلال الانتخابات كيما قُلْتْ أو...هَذْ الوضعية هَدي تطلَّبْ تغيير جدري...

(15) حزب جبهة التحرير الوطني "عبد العزيز بلخادم"

"وجبهة التحرير الوطني الوفية لجبهة التحرير تقدم لكم كوكبة من رجالها...تتوسم فيهم العمل...على أن يبقوا في خدمة العزة والكرامة وفي خدمة الوطن. هؤلاء نريدهم أن يكونوا...وللعمل على الرفع من مستوى معيشة المواطنين..."

(16) الجبهة الوطنية الجزائرية "موسى تواتي"

"واشَنْهُوَّ الاستثمار في الجزائر... في خيرْ وْلادْنا وَوْلادْ وْلادْنا...البترول هو الاستثمار...حْنا عنْدْما ترْجعْ الأمور لخدمة الوطن الجزائري ما عنْدْناشْ عرْبي وْ شاوي...التغيير مايْكونْشْ إلا بـ..."

(17) الحزب الوطني للتضامن والتنمية "محمد شريف طالب"

"حْنا نْزيدْ نْدقَّقْ واسْتَعْمَلْنا كلْمَةْ تضامنْ إلا إذا رْجعْنا للتضامن ألِّي كانْ في 62... الديمقراطية بالنسبة لنا ما هي إلا نظام سياسي...في حالة ما كانُوشْ في المستوى...يا خُويَ ما خدْمُوشْ خدْمتْهمْ..."

(18) عهد 54 "علي فوزي رباعين"

"نْهارْ الانتخابات تْمدُّ أصواتْكمْ للناسْ ألِّي راهِ قابْلة أوْ راهِ قادْرة...النقطة الهامة بالنسبة لعهد 54 هي الجامعة...عهد 54 يقترح على هذْ الفيئَة هدِ... رانا نْقولُ أن الجامعة لازمْ تتْماش مْعَ الإقتصاد..."

(19) التجمع الوطني الديمقراطي "أحمد أويحي"

"نحن سعداء أن نكون معكم في ولاية لمسيلة في هَذْ العيدْ 1ماي... نتذكر تضحيات العمال من أجل الإستقلال... إخواني الأعزاء الجزائر مرت بسنوات المحن وفي سنوات المحن العمال كانوا أيضا في الطليعة..."

(20) حركة الإصلاح الوطني "محمد بولحية"

"قلت هذه الطبقة التي تعيش الجزائر من كدها وبدلا أن نحسن... في كل عيد تغلق المؤسسات وهناك عمل لم يتقاضوا أجورهم فهل يحق لهؤلاء أن يحتفلوا... ونحن في عيد العمال ألي قلت أهم ألي يْعيشُوا فالجزائر..."

(21) حزب العمال "لويزة حنون"

"نحن اليوم في هد الأول من ماي ونْتُمْ تعرْفُ مواقِفْنا... عْلى خاطرْ من 2003 وَ منْ قْبلْ مواقفنا ما تْبدْلتْشْ يوم 17 ماي رسموا السيادة الوطنية الكاملة بالتصويت والقوائم باشْ تقولوا نعم لاستكمالْ مسار الصلح والمصالحة... وتقولوا نعم لتوقيف الخوصصة..."

(22) حركة مجتمع السلم "أبو جرة سلطاني"

"ونحن قدمنا برامج قدمنا أفكار ووضعنا بصماتْنا في كل مراحل الحياة...ومازلنا نقدم من غير فخر... بلادنا خدْمتْنا نخّدْموها...نحن حملة قضية ...ولذلك لما يْقولولْكُمْ أننا نْحبوا بْلادْنا ونْحب أجْدادْنا..."

(23) حركة الانفتاح "عمر بوعشة"

"نحن نسعى إلى استثمار مؤسسات دائمة... ونتْرُكْ المجال لهؤلاء الأجانب... ونتْمكنْ من مردودية كبيرة...نسْعاوْ باشْ نبْنيوْ سدود صغيرة ومتوسطة...باشْ نقْدرْ نْدعمْ الفلاحة والشرب..."

(24) الحزب الاشتراكي للعمال "صالحي شوقي"

"قطاعات استراتيجية لازمْ تأْميمْها... المناجم لازمْ تأْميمْها...دْراهم الشعبْ أَلِّي راهُمْ فالبونْكة لازمْ الشعب تسْتْفادْ منها... حْنا كحزب عنْدْنا سياسة تختلف، عندنا une politique différente الشعبْ يحْكُمْ والشعبْ يْراقبْ."

(25) حزب التجمع الوطني الجمهوري "عبد القادر مرباح"

"نْقيْمُ رْجالْ...نْشُوفُوا واشْ خدْمُ... يا ترى تْهلاوْ فينا ولاّ ماتْهلاّوْشْ فينا... عْلى منْ سأنْتخبْ... في هذْ اليومْ يجب أن أكون مسؤولا بأتم معنى الكلمة...إذا أحسنّا الإختيار فإننا نكون قد أحسنّا تقرير مصيرنا..."

(26) حركة الوفاق الوطني "علي بوخزنة"

"لابد من تنظيم السوق خاصة سوق الجملة...وْفي هذْ الحالة الفلاحْ عِنْدْما يْروحْ الفلاح. يلْقاها...الجزائر تحدت الجميع بالتعددية، بالديمقراطية...فقد أسسنا للديمقراطية...فصوتوا يوم 17 ماي لمن تحبون..."

(27) حركة الشبيبة والديمقراطية "شلبية محجوبة"

"حطُّوا فينا الثيقة وْ شُوفوا يْلكانْ نقّدْرُ ولاّ ما نقّدْرُوشْ... كونُوا إلى جانب MJD ونْورِّيولْكُمْ حْنا واشْ قادْرِينْ نعّمْلوا... حْنا قُلْنا خْلاصْ على الأقل المواطن..."

(28) جبهة التحرير الوطني "عبد العزيز بلخادم"

"لا تتطاولوا على حزب له من الرصيد ما يجعله يُحمد على إطاراته...هؤلاء الذين حرروا البلاد لازال فيهم...ليقولوا لأبناء الجزائر، لبنات الجزائر...يحدد فيها المعالم التي يجب أن تستمدّ..."

(29) حركة النهضة "فاتح الربيعي"

"لا يمكن أن يتحقق الازدهار لبلدنا...لا يمكن أن نقضي على بُئر الفساد بدون أن...ولذلك ينبغي أن يتحد السياسيون والأساتذة...والجميع حتى الذي هو متقاعد في البيت، قاعدْ ما يْديرْ شِي..."

(30) الجبهة الوطنية الجزائرية "موسى التواتي"

"يْتْكلَمْ باسْمْكُمْ ويْدافعْ عْليكُمْ...لأن تنتهي العهدة بعد 3 سنوات وْ يصْبحْ مثْلُ مثْلنا...صحْ حْنا حزبْ معارضة...نحن حزب يْعارضْ...الإنسانْ يْقولْ واشْ يْعارْضُ هدُو...حْنا نْعارضْ الباطلْ فقط...

(31) الحزب الوطني للتضامن والتنمية "محمد شريف طالب"

"الأمورْ التشريعية هذْ شِّي ألِّي راحْنا مجْتمْعينْ منْ أجْلُ...باشْ كِي هُمانْ يْصوْتُ يْولِّي لْقانونْ...سياسة رشيدة...نتْوجَهْ لاسْتِصْلاحْ الأراضي...وْ نعْرقْ باشْ نْجيبْ لْخيرْ لبْلادِي...

(32) عهد 54 "علي فوزي رباعين"

"يا جْماعة حْنا رانا نطْلبْ باشْ كُلْ المناطق نْتاعْ 54...الصغيرْ وْ لْكبيرْ...نْفكُ هذْ لْأزْمة...لازمْ نفّتْحُ صفْحة وْ نغَلْقُ صفحة...حْنا بالنسبة لينا ما كانْشْ مطالبْ نْتاعْ شَرْقْ ونْتاعْ لْغرْبْ"

(33) التجمع الوطني الديمقراطي "أحمد أويحي"

"إقتصاد السوقْ لا مفرْ منُّ...شركة النقل البحري كْسبْناهُمْ نْشا الله ما يْضيعُوشْ... أولا لازمْنا شْريكْ أجنبي...رابعا نعْطِي تسْيِيرْللشريكْ ألِّي يْجِي..."

(34) حزب حركة الإصلاح الوطني "محمد بولحية"

"وحركة الإصلاح الوطني قدّمت في برنامجها 30 محور، فيه...ولكن أريد أن أركز على بعض المحاور...الإصلاح السياسي رأس كل إصلاح...ركزنا أيضا على المدرسة لأن الدرِّي يتْخرَجْ مالمدرسة، المهندسْ يتْخرجْ مالمدرسة..."

(35) التجمع الوطني من أجل الثقافة والديمقراطية "سعيد سعدي"

"نْزيدْ حاجة خِيرْ...باشْ الكتلة البرلمانية...لازمْ حزبْ ساسي يْتبَعْ هذْ نَاسْ...لازمْ ما نطَلْقوهُمْشْ يْدِيرُوا رايْهُمْ...نْعاهدْكُمْ أن هذْ البرنامجْ رايحْ يطبَقْ...

(36) حزب العمال "لويزة حنون"

"إِذا كانْ نْتُوما ألِّي...حتى حْنا نَجْمُ نْقولُ ça suffit...نْحبْ نْعيشْ بالموارِدْ نْتاعْ الجزائر...نْقُولْ نحن نريدْ جمهورية موحدة ألِّي تضْمنْ الحرياتْ...

(37) حزب حركة مجتمع السلم "أبو جرة سلطاني"

"...كل ذلك يدخل في تعزيزاتنا...ضد قانون معاقبة الإمام...أن مكافحة الفساد أو مقاومة الفساد لازمْ قرار سياسي..."

(38) حركة الإنفتاح "عمر بوعشة"

"وِذا حبْ الشعب الجزائري يْبدَلْ...يجببْ تخْتارُوا الأحزابْ السياسية ألِّي عنْدْها برامِجْ... وْ في مجالْ حتى الإستقرارْ نْتاعْ لبْلادْ...يْكونْ بْقوة في الإنتخابات...وْنبْنيوْا..."

(39) حزب التجديد الوطني "كمال بوسالم"

"رانا عايْشينْ في بْلادْ غنية...يا خُوي...الوزيرْ فلْمنْصبْ نْتاعُ...إِذا حطِّينا اليد فلْيدْ رايْح لبْلادْ تْكونْ نْقارْنوا الجزائر...ها الجزائر واشْ تسْوَ...لازمْ كل شابْ يعْرفْ..."

(40) حزب العمال الإشتراكي "شوقي صالحي"

"ماشِي حْنا ألِّي حْرارْ، هذُوكْهُما ألِّي حْرارْ، حْرارْ باشْ يْعفْسُ عْلى الحقوق نْتاعْنا...78 فلْمْية من العمالْ ال **privé** ما عنْدْهُمْشْ الحق باشْ تْكونْ عنْدْهُمْ l'assurance..."

(41) التجمع الوطني الديمقراطي "عبد القادر مرباح"

"الدستورْ نْتاعْنا يْقولْ كل المواطنين سواسية في الحقوق والواجبات...حْنا ناسْ مسؤولينْ بْغينا نتْغلْغْلُ فالأحياءْ نْتاعْنا باشْ نْحقُ الحريات...إذن إخواني...عْلى حْسابْ المشاكلْ ألِّي راها..."

(42) حزب الوفاق الوطني "علي بوخزنة"

"الموّالينْ يْعانيوْ من غلاء الدواء للمواشي نْتاعْهُمْ...مْناشْ يْعانِي الفلاحْ، مْناشْ يْعانِي الموّالْ...باشْ الفلاحين يستريحوا..."

(43) حزب التجمع الجزائري "علي زغدود"

"...فيها بزّافْ عمالْ...وْما نسْتغْربْ كِيفاهْ...وْلنّاسْ ألّي يعّمْلُ...لأن الممثلينْ نْتاعْنا هُمْ لعْيونْ نْتاعْ الحزبْ...وْ لِهذا لازَمْ الناسْ تْكونْ عنْدْهُمْ مواقفْ..."

(44) عهد 54 "علي رباعين"

"للأسف الشديد الخطابْ السياسي نْتاعْنا مالْحقْشْ الشعبْ...عنْدْنا برنامجْ...جِينا هْنا من أجل حقوقْ المواطنينْ...كل معركة ندخل فيه...نْردُّولْهُمْ الكرامة نْتاعْهُمْ..."

(45) التجمع الوطني الديمقراطي "أحمد أويحي"

"مُكافْحة الفسادْ تطلَّبَ إجراءات...اليوم الحمد لله راكمْ تقْراوْ ...إذا عنْدُ زُوجْ نعْجاتْ لازمْ يْصرَّحْ يْقولْ مْنِينْ جاتْ...إذا كانْ شخصْ يسْرقْ زُوجْ مْلايرْ وْ يدْخلْ للْحبسْ وْ منْ بعْدْ يخْرُجْ..."

(46) الإصلاح الوطني "محمد بولحية"

"الأمازيغية في حركتنا على الرأس والعين، لأن الأمازيغية هي لغة الجزائريين...ما يمْكنْشْ باشْ نتْنكَّرْ لْها...ولكن حافظوا مع الأمازيغية على العربية لأنها لغة القرآن..."

(47) حركة مجتمع السلم "أبو جرة سلطاني"

"لا نريد أصواتا تباع وتشترى، نْحبُّ أصوات أبناء الجزائر وبنات الجزائر، أصوات الناس ألِّي يبْغُو يبْنُوها...أتدرون ما هي المشكلة...الدْراهمْ كاينْ والأرْضْ طْويلة وعْريضة...حتى الذْهبْ يطَّايشْ فالصحْرة نْتاعْنا..."

(48) حركة الإنفتاح "عمر بوعشة"

"تحية حارة إلى آبائنا المجاهدين...وأنكم كنتم الأمس شبابا... يجب علينا استعمال برنامج...عْلاشْ تْكلَّمْتْ عْلى هدا... قُلْنا على الأقلْ نسْتْفادُ منْ هدِيكْ السدودْ..."

(49) حزب التجديد الجزائري "كمال بوسالم"

"ما يخْفى عْلى أحدْ أن الجزائر تملك الثروة الأغلى في الجزائر ألا وهي ثروة الشباب...منْ هدْ المنطلقْ نبْنِي هدْ التصور...نْقُولْ أنَّ تشجيعْ الجزائريين..."

(50) حزب العمال الاشتراكي "شوقي صالحي"

عقد ما قبل التشغيل يعْطِيلكْ خدمة وْ يعْطِيلكْ نصْ سُومة كأنك نصْ عبْدْ...شُوفُوا الشبيبة في فرنسا نحَاتُ...تشغيل الشباب نْتاعْ نصْ سومة ما نقَبْلُهاشْ..."

(51) التجمع الوطني الديمقراطي "عبد القادر مرباح"

"هناك مواطنون يقولون نحن سننتخب مهما كان الوقت ولكنني لن أتنازل عن حقي لأننا لا نريد أن نترك مكاننا لغيرنا...جئناكم من أجل التغيير الحقيقي ومن أجل إرجاع الكلمة للشعب الجزائري...من أجل إعادة التمكين في الحياة اليومية..."

(52) حركة الوفاق الوطني "علي بوخزنة"

"أنَّادِ الناسْ ألِّي يْنادِيوْ للْمُقاطعة...البارحْراكُمْ كُنْتُ مجاهدين واصْلُ بنائكمْوحْنا لازمْ نْبَدْلُ بالأحسنْ...المسؤولية راهِ عْلينا جميعا..."

(53) حزب التجمع الجزائري "علي زغدود"

"الأحزابْ راهِ كْثيرة...هدِ مُبادْرة مْنيحة...لأنْكُمْ ناسْ مهْتمينْ بالوطن...لأنْهمْ مازالْ يْقولُ خلِينا فالسياسة...نْحيِي المرأة الجزائرية من خلال لغْواطِيات...نْحييهمْ و نْقولْ لِيهُمْ يا جزايْرياتْ كونوا بْجانِبْ الرجل..."

(54) الحركة الوطنية من أجل الطبيعة والنمو "عبد الرحمان عكيف"

"الرْجالْ ألِّي موْجودينْ في القائمة هم رجالْ مُخلصينْ...رنا الرْجالْ ألِّي موْجودينْ فالقائمة...لأنْهُمْ عاهْدُ هذْ الشعبْ الجزائري هدا...الشعب الجزائري ما يتَشْراشْ..."

(55) التحالف الوطني الجمهوري "رضا مالك"

"انْشُوفْ في هذْ القاعة هدِي الكُثْرَ شبان...الشباب هذا راهُ قوة...والشبابْ نْتاعْنا هذا لازمْ يخْرُجْ مالبطالة...إذا كانْ الناسْ عنْدْهُمْ la dignité نْتاعْهُمْ أوْ يخُرْجُ..."

(56) الحركة الوطنية للأمل "محمد هادف"

"نْدافعْ عْلى هذْ المْساكينْ... عْلى هذْ المْساكينْ...يْدافعْ عْلى **le retraité** يْدافعْ عْلى شبيبة...واشْ ادِيرْ..."

(57) حركة الديمقراطية الاجتماعية "حسين علي"

"حْناي نْكافْحُ من أجل الديمقراطية تْولِّي حقيقة...مازالْ بزافْ الأطفالْ نْتاعْ الجزائر يْعانيوْ...الديمقراطية كِي تْكونْ لْوسائِلْ نْتاعْ الدولة في خدمة المواطنين..."

(58) حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية "سعيد سعدي"

استعمل السيد سعيد سعدي رئيس الحزب في هذا الخطاب الأمازيغية والقليل من اللغة الدرجة، بحكم المنطقة التي ألقى فيها خطابه. فالبويرة منطقة تستعمل فيها اللغة الأمازيغية. وبما أنني لا أفهم ولا أجيد هذه اللهجة، فقد صعب علي تدوينها.

(59) حركة النهضة "فاتح الربيعي"

"لا يمكن أن يكون الاحتفال حقيقة نشعر بلذته ما لم يكن العامل يشعر في هذا اليوم بعزته وكرامته...في هذه المنطقة ولاية البويرة وقعت المصاهرة بين العرب والأمازيغ وهو إسمنت الوحدة الوطنية المباركة من هذه المنطقة بنيت الوحدة الوطنية..."

(60) حزب جبهة الإنقاذ "علي بلحاج"

"ابن باديس رحمه الله قالْها عامْ 1938... كنا مازالْ ماخْلقْناشْ...أشْ يْقولْ ابن باديس لما سْمعْ أن فْرانْسا ... راكمْ شفْتُوهُمْ ...أما حْنا فالإسلامْ ماعنْدْناشْ هو التقسيمْ ... مرة يْعَلْمونا نَنْدَلُّ للحكامْ وْ مرة يْعَلْمونا نَنْدَلُّ... واشْ تقَّصْدُ بالإرهابْ..."

(61) الرئيس الراحل "بوضياف"

"حْنا نْشُوفُ هَذْ الدولْ لّي فاتَتْنَا، بَاشْ فَاتَتْنَا، فَاتَتْنَا بالعلم، والدينْ نْتاعْنَا لْإسْلامْ..."

* النـــتـــائـــج:

أهدف من خلال هذا المبحث، إلى فحص النوع اللغوي الذي يعمد إليه السياسيون الجزائريون، وسط الزخم الكبير من الأنواع التي يتسم بها شعبهم ، والتي سبق لنا أن أشرنا إليها سابقا. وذلك باستخدام عملية حسابية بسيطة، نستمد معطياتها من الجدول (1) في الجدول (2) على الصفحة الموالية.

3. جـدول تـحلـيـل الـخطـب الـجزائـريـة أنـفـة الـذكـر:

* التصنيف اللغوي :

من خلال الجدول التالي سوف أحاول تصنيف الخطب السياسية الأنفة الذكر حسب نوع اللغة المُستعملة حتى يتسنى الخروج في الأخير بنسب مئوية نستعملها للإجابة على الإشكالية التي يرتكز عليها بحثنا هذا.

3. جـدول تـحلـيـل الـخطـب الـجزائـريـة أنـفـة الـذكـر:

* التصنيف اللغوي :

من خلال الجدول التالي، سوف أحاول تصنيف الخطب السياسية الأنفة الذكر، حسب نوع اللغة المُستعملة، حتى يتسنى الخروج في الأخير بنسب مئوية نستعملها للإجابة على الإشكالية التي يرتكز عليها بحثنا هذا.

الجدول (1)

الرقم	الحزب السياسي	زمن إلقاء الخطاب	مكان إلقاء الخطاب	الجمهور المتلقي	نوع اللغة المستعملة
1	السيد عبد العزيز بوتفليقة	1999/04/15	عنابة	تجمع شعبي	لغة عربية+لهجة+أمثال شعبية+فرنسية
2	//	//	//	//	لغة عربية+لهجة+أمثال شعبية
3	حزب عهد 54	2007/04/29	سطيف	تجمع شعبي	لهجة محلية
4	التجمع الوطني الديمقراطي	2007/04/29	خنشلة	//	لهجة محلية + لغة عربية مبسطة
5	التجمع الوطني الجمهوري	2007/04/29	تيارت	تجمع شعبي	لغة عربية
6	حزب الإصلاح الوطني	2007/04/29	سعيدة	//	لغة عربية مبسطة + لهجة محلية
7	حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية	2007/04/29	باتنة	//	لهجة محلية
8	حزب العمال	2007/04/29	معسكر	//	لغة عربية مبسطة + لهجة محلية
9	حركة مجتمع السلم	2007/04/29	تبسة	//	//
10	حركة الإنفتاح	2007/04/29	وادي سوف	//	لغة عربية مبسطة + لهجة محلية
11	حزب التجديد الجزائري	2007/04/29	خميس مليانة	//	لغة عربية مبسطة + ألفاظ من العامية
12	حزب العمال الإشتراكي	2007/04/29	خميس مليانة	//	لهجة محلية
13	حزب التجمع الجزائري	2007/05/01	تيبازة	//	لهجة محلية
14	حركة الديمقراطية الاجتماعية	2007/05/01	باب الواد الجزائر العاصمة	//	لهجة محلية + لغة عربية مبسطة

15	حزب جبهة التحرير الوطني	2007/05/01	معسكر	تجمع شعبي	لغة عربية	
16	الجبهة الوطنية الجزائرية	2007/05/01	تيزي وزو	//	لهجة + لغة عربية مبسطة	
17	الحزب الوطني للتضامن والتنمية	2007/05/01	باتنة	//	لغة عربية مبسطة +لهجة	
18	عهد 54	2007/05/01	المسيلة	//	لغة عربية مبسطة + لهجة	
19	التجمع الوطني الديمقراطي	2007/05/01	المسيلة	//	لغة عربية + ألفاظ من العامية	
20	حركة الإصلاح الوطني	2007/05/01	البليدة	//	لغة عربية + لهجة	
21	حزب العمال	2007/05/01	عين الدفلة	//	لغة عربية مبسطة + ألفاظ من العامية	
22	حركة مجتمع السلم	2007/05/01	الأغواط	//	لغة عربية + لهجة	
23	حركة الإنفتاح	2007/05/01	تبسة	//	لغة عربية مبسطة	
24	الحزب الاشتراكي للعمال	2007/05/01	الجزائر العاصمة	//	لغة عربية مبسطة+لهجة+فرنسية	
25	حزب التجمع الوطني الجمهوري	2007/05/01	ورقلة	//	لهجة + لغة عربية	
26	حركة الوفاق الوطني	2007/05/01	تبسة	//	لغة عربية مبسطة + لغة عربية	
27	حركة الشبيبة والديمقراطية	2007/05/01	خراطة	//	لهجة	
28	جبهة التحرير الوطني	2007/05/03	تبسة	//	لغة عربية	
29	حركة النهضة	2007/05/03	وهران	//	لغة عربية + عبارات من العامية	
30	الجبهة الوطنية	2007/05/03	عين	//	لغة عربية مبسطة + ألفاظ من العامية	

	الجزائرية		صالح		
31	الحزب الوطني للتضامن والتنمية	2007/05/03	سكيكدة	//	لغة عربية مبسطة + لهجة
32	عهد 54	2007/05/03	الوادي	//	لهجة
33	التجمع الوطني الديمقراطي	2007/05/03	برج الكيفان العاصمة	//	لغة عربية مبسطة
34	حزب حركة الإصلاح الوطني	2007/05/03	سوق أهراس	//	لغة عربية + لغة عربية مبسطة
35	التجمع الوطني من أجل الثقافة والديمقراطية	2007/05/03	جيجل	//	لهجة
36	حزب العمال	2007/05/03	تيزي وزو	تجمع شعبي	لهجة + فرنسية
37	حركة مجتمع السلم	2007/05/03	وادي سوف	//	لغة عربية مبسطة
38	حركة الإنفتاح	2007/05/03	قالمة	//	لغة عربية مبسطة + لهجة
39	حزب التجديد الوطني	2007/05/03	سكيكدة	//	لهجة
40	حزب العمال الإشتراكي	2007/05/03	تيبازة	//	لهجة + كلمات من اللغة الفرنسية
41	التجمع الوطني الديمقراطي	2007/05/03	الكاليتوس العاصمة	//	لهجة
42	حزب الوفاق الوطني	2007/05/03	الجلفة	//	لهجة
43	حزب التجمع الجزائري	2007/05/03	سكيكدة	//	لهجة
44	عهد 54	2007/05/05	عين الدفلى	//	لهجة

45	التجمع الوطني الديمقراطي	2007/05/05	تيسمسيلت	//	لهجة + مثل شعبي
46	الإصلاح الوطني	2007/05/05	بجاية	//	لهجة + كلمات من اللغة العربية المبسطة
47	حركة مجتمع السلم	2007/05/05	عنابة	//	لهجة + لغة عربية
48	حركة الإنفتاح	2007/05/05	سطيف	//	لغة عربية مبسطة + لهجة
49	حركة التجديد الجزائري	2007/05/05	المرادية العاصمة	تجمع شعبي	لغة عربية مبسطة
50	حزب العمال الإشتراكي	2007/05/05	معسكر	//	لهجة
51	التجمع الوطني الديمقراطي	2007/05/05	سواقي المدية	//	لغة عربية
52	حركة الوفاق الوطني	2007/05/05	برج منايل	//	لغة عربية بسيطة + كلمات من العامية
53	حزب التجمع الجزائري	2007/05/05	الأغواط	//	لغة عربية مبسطة + لهجة
54	الحركة الوطنية من أجل الطبيعة والنمو	2007/05/10	العاصمة	//	لغة عربية مبسطة + لهجة
55	التحالف الوطني الجمهوري	2007/05/10	البويرة	تجمع شعبي	لهجة + كلمات باللغة الفرنسية
56	الحركة الوطنية للأمل	2007/05/10	تيبازة	//	لهجة + كلمات باللغة الفرنسية
57	حركة الديمقراطية الشعبية	2007/05/10	سيدي بلعباس	//	لغة عربية مبسطة + لهجة
58	حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية	2007/05/01	البويرة	//	الأمازيغية + لهجة عربية

59	حركة النهضة	2007/05/01	البويرة	//	لغة عربية
60	حزب جبهة الإنقاذ	1990/11/09	العاصمة	//	لهجة + لغة عربية
61	الرئيس الراحل "بوضياف"	1992/07/29	عنابة	//	لهجة

الـــجـــدول (2)

عربية كلاسيكية	لهجة جزائرية	لهجة محلية	فرنسية	عربية مبسطة	عربية مبسطة + لهجة	عربية كلاسيكية + ألفاظ من العامية	لغة عربية + لهجة	لهجة + فرنسية	أمازيغية + لهجة عربية
05	11	04	00	02	20	04	09	05	01

من خلال الجدول (2)، المتضمن الأنواع اللغوية الجزائرية الأكثر استعمالا من طرف السياسيين الجزائريين بالأرقام، نلاحظ أنه من ضمن 61 خطابا سياسيا، هناك 20 خطابا استعملت فيه عربية مبسطة[1]+لهجة، و11 خطابا استعملت فيه اللهجة الجزائرية[2]، و09 خطب استعملت فيها اللغة العربية الكلاسيكية+اللهجة، وخمسة منها استعملت فيها اللغة العربية الكلاسيكية، وأربعة منها استعملت فيها اللهجة المحلية[3]، وخمس مرات استعملت فيها اللهجة+ الفرنسية، وواحدة استعملت فيها الأمازيغية+ لهجة عربية.

من خلال ذلك، نقرأ أن السياسي الجزائري يعتمد كثيرا على اللهجة، والتفاوت أن هناك من يدعمها بالفرنسية، أو بأمثال شعبية، أو باللغة العربية الكلاسيكية، أو الأمازيغية، حسب نوع المتلقي. فإن كان هذا

الأخير جمهورا مثقفا، لجأ السياسي إلى الفرنسية أو العربية الكلاسيكية، مع أن هذا لا يمنعه من استعمال بعض المفردات اللهجية؛ أما إذا كان المتلقي عبارة عن تجمعات شعبية، فيلجأ دائما إلى اللهجة.

[1].عربية مبسطة، أي لغة عربية بسيطة، خالية من المفردات والعبارات المعقدة التي لا يفهمها عامة الناس.

[2].اللهجة الجزائرية: أي تلك اللهجة الموحدة لمجمل اللهجات الجزائرية، تلك التي بدأت تظهر في الأفلام والمسلسلات الجزائرية والتي تعود عليها جميع الجزائريين، ويفهمونها جميعا.

[3].اللهجة المحلية: هي اللهجة التي تخص أحد المناطق دون سواها، كلهجة تلمسان، ولهة عنابة ولهجة تيزي وزو..

وعليه، نستخلص أن نسبة استعمال اللهجة عند السياسيين الجزائريين هي الأكبر، مقارنة بالأنواع اللغوية الأخرى التي تزخر بها الجزائر؛ كما يبينه الرسم البياني التالي:

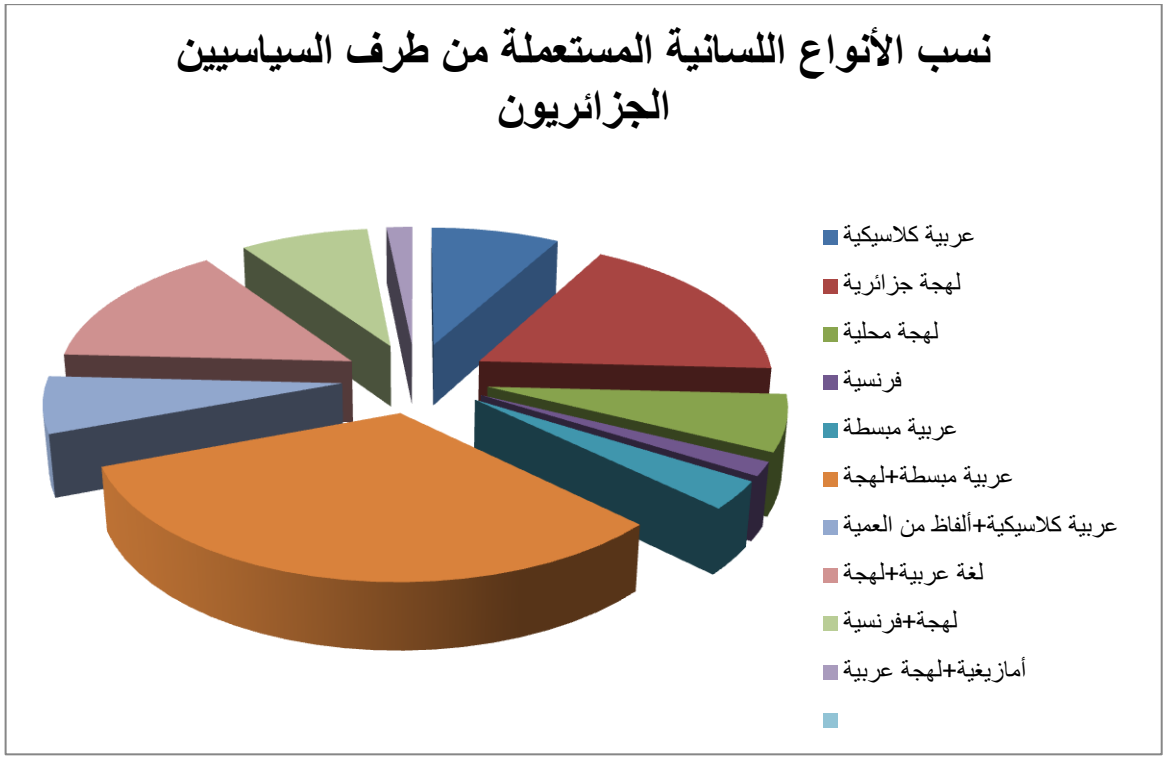

الـــنتـــيـجـة الـــــــعامـــة

من خلال الأرقام الخاصة، بالأنواع اللغوية التي يعتمد عليها السياسيون الجزائريون في خطبهم السياسية، يمكن أن نصوغ إجابة على الإشكالية الأساسية لهذه الرسالة: **"هل يمكن اعتبار اللغة أحد نقاط القوة أو الضعف في يد السياسيين عموما والسياسيون الجزائريون خصوصا؟"**

انطلاقا من الإحصاء الذي قمنا به، إضافة إلى الاستمارات التي وزعت على عدد من ممثلي الأحزاب السياسية بمدينة تلمسان، انتهينا إلى أن السياسي الجزائري يعتمد إستراتيجية لغوية في خطبه السياسية، والدليل على ذلك، طبيعة المتلقي هي التي تفرض عليه صياغة الأشكال اللغوية التي بمقدورها إيصال رسالته على أكمل وجه. فنلاحظ نفس الشخصية السياسية تحاول دائما تمرير مبادئها وأيديولوجياتها الثابتة بشكل لغوي يختلف باختلاف المتلقي، فإن كان هذا الأخير تجمعا شعبيا يضم مختلف أطياف المجتمع، يستعمل اللهجة المحلية مدعومة أحيانا ببعض الأمثال الشعبية، أو يستعمل لغة عربية مبسطة؛ أما إن كان المتلقي جمع من الصحفيين الدوليون أو المحليون،أو نخبة من المثقفين، فيستعمل اللغة العربية الكلاسيكية أو اللغة الفرنسية. إذا، السياسي الجزائري لا يتغافل أبدا عن نوع التركيبة السوسيوثقافية لشعبه من أجل تمرير ما يريده من أيديولوجيات، وهذه هي الطريقة المعتمدة عند أكبر سياسيي العالم الذي نعيشه اليوم، فقد أصبح الخطاب السياسي اليوم سلاحا فتاكا يمكن لمن

يتحكم فيه، السيطرة المطلقة على الشعوب والأمم. فلا ننسى أن الإعلام في ظل العولمة التي نعيشها اليوم، أصبح المفتاح لتحقيق مبتغيات الدول المتسلطة، فقد نجح "بوش الابن" في خداع وتظليل الرأي العام الدولي في قضية غزو العراق، عن طريق كذبة مررها باستعمال خطب مدروسة تم فيها انتقاء الجمل والمفردات بحذر شديد من طرف مختصين لغويين، إضافة إلى مساهمة علماء النفس والاجتماع ... لهذا يسمى بفن الخطابة. فالسياسي المتمكن من هذا الفن، هو السياسي الناجح بلا منازع.

لقد تنبه السياسيون عبر العالم لما للخطاب السياسي من أهمية، فهي العصا السحرية التي، إن أحسن استغلالها، تحققت الأهداف والطموحات السياسية. ولعل الجزائر أحد تلك الدول التي بدأت تتنبه لهذا الأمر، والمحاضرة التي ألقاها السيد "عبد العزيز بلخادم" تحت عنوان "فنيات الخطاب السياسي"، يوم 2010/02/28 ، خير دليل على ذلك. فقد أكد السيد عبد العزيز بلخادم، الأمين العام لجبهة التحرير الوطني، أن رهان الحزب في الفترة الراهنة يرتكز على تنظيم دورات تكوينية للشباب المناضلين تشمل الممارسة السياسية وفن الخطابة والتبليغ السياسي. من هذا المنطلق، قال الأمين العم:"إن السياسة لا تبلغ أهدافها إلا عن طريق الخطابة وأنتم مطالبون بالتحكم في تقنيات وفنيات الحديث والتبليغ السياسي لتبلغوا رسالة الجبهة إلى الآخرين، عليكم أن تتمكنوا من الأداء الجيد عن طريق تعلم هذه الفنيات، إن ما نريده من هذا اللقاء هو إطلاع الشباب على أبجديات الخطابة السياسية."

كما أكد السيد الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني الجزائري خلال هذه المحاضرة على أهمية انتقاء الكلمات المناسبة نظرا للدور المهم الذي تلعبه هذه الأخيرة في عملية تبليغ الرسالة المراد إيصالها إلى المتلقي، فقال: "الكلمة هي التي تمكننا من تبليغ الرسالة..." وفي هذا الإطار، ركز السيد بلخادم على الجانب الثقافي والاجتماعي للمتلقي حين قال: "يجب أن نتمكن من فضاءات شعبنا حتى نتمكن من تبليغ الرسالة..." وهذا الكلام لسياسي محنك مثل السيد بلخادم دليل، على أن السياسيون الجزائريون يعتمدون بالدرجة الأولى على عنصري اللغة والثقافة التي يتميز بها الشعب الجزائري، ومن هنا يأتي الرد على إشكالية هذا البحث المتواضع، وهي :" **نعم، السياسيون الجزائري يعون جيدا أهمية اللغة في صياغة الخطب السياسية التي يفهما عامة الشعب الجزائري باختلاف أشكاله اللغوية والثقافية .**"

الـــــــملـحـــق

الـمصطـلحـــات

المصطلح في اللغة الفرنسية	مقابلها في اللغة العربية
L’analyse du discour	تحليل الخطاب
Bilinguisme	إزدواجية اللغة
Conception marxiste	التصور الماركسي
Conception systématique	مفهوم نظامي
Code linguistique	رمز لغوي
Communauté linguistique	مجموعة لسانية
Communication sociale	تواصل اجتماعي
Communication verbale	تواصل شفهي
Corps politique	جسم سياسي
Context socioculturel	سياق سوسيوثقافي
Control social	مراقبة اجتماعية
Dialectologie	علم اللهجات
L’école variationniste	المدرسة التغيرية
Éléments du contexte social	عناصر المحيط الاجتماعي
Emplois	ممارسات
Éthnographie de la parole	إثنوغرافيا الكلام
Études dynamiques interactionnelles	الدراسات الحيوية والتآثرية

مؤشرات الوضع السوسيو إقتصادي	Indices de statut socio-économique
ألسنة الجماعات	Idiomes
تفاعل رمزي	Interaction symbolique
لغة الأعمال	Langue des affaires
لسانيات الصراعات اللسانية	Linguistique des conflits linguistiques
علم الاجتماع اللساني الكلي	Macro-sociolinguistique
التحكم في اللغة	Maitrise de la langue
نمط التفكير الاجتماعي	Mode de pensée sociologique
التخطيط والتوحيد المعياري اللغويين	La planification et la standarisation linguistique
سجل لغوي	Répértoire linguistique
علم الظواهر الاجتماعية	Science des phénomènes sociaux
تطوير اجتماعي	Socialisation
علم الاجتما اللساني (اللغوي)	Sociolinguistique
علم الاجتماع النقدي والبنائي	Sociologie critique et structuraliste
سوسيولوجيا الكلام	Sociologie du langage
بنية إجتماعية	Structure sociale
نظام لغات محددة	Systèmes des langues particulières
نظرية لسانية	Théorie linguistique

المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية :

- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة 1952.
- أحمد محمد الإدريسي، تداولات الخطاب ولسانيات السكاكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، قسم اللغة العربية، 1987.
- أحمد مظهر سعددو، في الخطاب السياسي العربي، مجلة ديوان العرب، 2009.
- بييرف زيما، نحو سوسيولوجية للنص الأدبي، ترجمة عماد بلحسن، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد5، 1989.
- تزفتان تودوروف، اللغة والأدب في الخطاب الأدبي، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت 1993.
- التعريفات، الجرجاني، تح إبراهيم الإبياري، مادة (كلام) ط2، دار الكتاب العربي، بيروت 1992.
- جورج كلاوس، لغة السياسة، ترجمة: ميشل كيلو، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1977.
- جورج كلاوس، لغة السياسة، ترجمة: ميشيل كيلو، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977.

- . حسين عبد الحميد أحمد رشوان، التغير الاجتماعي والتنمية السياسية في المجتمعات النامية، دراسة في علم الاجتماع السياسي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1997.
- . حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة 2000.
- . خالد عبد الله، اللغة الأمريكية الجديدة، جريدة الموقف، العدد 115، الرياض، أغسطس 2004.
- . صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق.
- . عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دراسات في دلالات الألفاظ والمعاجم اللغوية، القاهرة، الطبعة الثانية، 2003.
- . عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز بين التوحد ووحدة الوجود، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2006.
- . عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 – 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995.
- د. عمر أوكان، مدخل لدراسة النص والسلطة، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 1991.
- د. مازن الوعر، اللسانيات وتحليل الخطاب السياسي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد 44، سنة 1997.

- . محمد بن سعود البشر، مقدمة في الاتصال السياسي، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1997.
- . محمد بن سعدو البشر، مقدمة في الاتصال السياسي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1997.
- . محمد جاد الرب، علم الأسلوب بين الأسلوبية الحديثة والبلاغة العربية، عامر للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الأولى، 1993.
- د. محمد داود، اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر، الناشر دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2003.
- د. محمد سبيلا، للسياسة بالسياسة في الترشيح السياسي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000.
- د. محمد عبد المطلب، النص المشكل، سلسلة كتابات نقدية، العدد 92 ، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة 1999.
- د. محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005.
- د. محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط 1، 2005.
- د. منصور بن زويد المطيري، مصطلحات الخطاب الغربي هل هي تعبير عن واقع أم تبرير السياسة؟ بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي

التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلامي "الشباب والانفتاح العالمي"، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2002.
- د. منصور بن زويد المطيري، مصطلحات الخطاب الغربي هل هي تعبير عن واقع أم تبرير السياسة؟
- د.محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، القاهرة، 1962.
- روبرت أ دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة: د. علا أبو زيد، مراجعة د. علي الدين هلال،الناشر: مركز الأرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993.
- روبرت شولتر، السيمياء والتأويل، ترجمة: سعيد الغانمي، المرككز الثقافي، بيروت 1993.
- سعيد اليقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، 1988.
- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت 1997.
- عبد الله إبراهيم، إشكالية المصطلح النقدي (الخطاب والنص)، مجلة آفاق عربية، بغداد 1993.
- عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة،، بنغازي، الطبعة الأولى، 2004.

- عبد الوهاب المسيري، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، 2005.
- عبده علي عبد الله البحش، الحرب النفسية الأمريكية اتجاه العرب والمسلمين، دراسة تحليلية في مضمون الخطاب الإعلامي الأمريكي، دار الكتاب الثقافي، إربد (الأردن)، 2005.
- فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت 2000.
- فهمي هويدي، مصطلحات الخطاب السياسي حيث تتحول إلى فخاخ وكمائن، مجلة المجلة، الرياض، العدد 1076، يوليو 2000.
- فهمي هويدي، مصطلحات الخطاب السياسي حيث تتحول إلى فخاخ وكمائن، مجلة المجلة، الرياض، العدد 1067، يوليو 2000.
- فيليب برو، علم الاجتماع السياسي، ترجمة: د. محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1998.
- قسطنطين سلافاسترو، منطق السلطة وديناميةالخطاب السياسي، ترجمة عبد الإله بوحمالة، مجلة الحوار المتمدن، العدد 630.
- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج،ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005.

- لويس جان كلفي، علم الاجتماع اللغوي، ترجمة: محمد يحياتين، دار القصبة للنشر، 2006.
- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: د.أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، 1973.
- مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر 1976.
- محمد خلاف، الخطاب الإقناعي، مجلة دراسات أدبية ولسانية، العدد 5، 1986.
- ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1987.
- ميشيل زكرياء، الألسنية علم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1984.
- النص النقدي، إشكالية المصطلح والخطاب، مجلة آفاق عربية، آذار 1993، بغداد.
- يوسف الطعاني، اللغة كأيديولوجية، مجلة الفكر العربي المعاصر، لبنان.

- المصادر باللغة الأجنبية:

- Agence France Presse, l'Arabe sera seule Langue d'usage en Algérie Avant 1988, dans la presse, Montréal, décembre 1996
- Asselah Rahal, Safia et Tassadit Mefedene, Environnement Graphique et Politique en Algérie, dans, Langues Dominantes Langues Dominées, Pubilcation des Universités de Rouen et du HVE, 2008.
- André Martinet, Eléments de Linguistique Générales, librairie Armand Colin, Paris 1970.
- Cf. A Neuber, What Is Sociolinguistics? Three Postulates for Sociolinguistics Research, in Archivum, vol 7, (nouvelle série), n°2, 1976.
- Benrabah Mohamed, Langue et Pouvoir en Algérie, Histoire d'Un Traumatisme Linguistique, Paris , édition Séguier, 1999.
- Beyoucef (A), Population du Maghreb et Communication Economique à Quatre, Paris 1967.
- Christian Baylon, Xavier Magnot, La Communication, deuxième édition, édition Nathan, 1994.
- Cf. A. Neuber, What Is Sociolinguistics? Three Postulates for sociolinguistics research, in ArchiviumK vol7, (nouvelle série), n°2, 1976.
- Déjeux Jean, Situation de l'Arabisation En Algérie, dans Géopolitique Africaine, Paris, éditions Albin Michel, février 1988.
- D. Hymes, Foundation in SociolinguisticsM An Ethnographic Approach, University of Pensylvania, 1977.
- Dominique Maingueneau, Les Tèrmes Clés de l'Analyse du Discours, Edition du Seuil, 1996.
- Firth. J, The Technic of Semantics, in Papers In Linguistics, 1934-1951.
- G. Gurvitch, La Vocation Actuelle de la Sociologie, PUF, 1963.
- Grandguillaume Gilbert, Arabisation et Politique Linguistique au Maghreb, édition G-P, Maisonneuve et Laroosse, 1983.
- Hadjadj Djilali, Une Population à La Dérive, dans Le Monde Diplomatique, Paris, Septembre 1998.
- Henry et S.Moscovichi, Problème de l'Analyse du Contenu, dans Language, n° 11, septembre 1968.
- Jhon Murry, States And Morals, London, 1946.
- Jushua A Fishman, Sociolinguistique, étude publiée en langue française par le soin de l'A.I.M.A.V, Belgique, 1971.
- Lakoff. R, Language in Context, 1972.
- Lasus Jean, Histoire de l'Algérie, Paris, les productions de Paris, 1962.
- Liberté (journal français), le 29-01-1948.

- L. Porcher, Le Sociologique dans Le Linguiste, Quelques Principales et Conséquences, dans, Le Français dans Le Monde, n° 121, Hachette, Larousse, 1976.
- Mouloud Gaid, l'Algérie sous Les Turques, 2ème édition, éditions Mimouni, 3èm trimestre, 1991.
- Mosca Gaetano, The Rulling Class, Mc Graw Hill Book Company, New York, 1939.
- Ouerdane Amar, Les Berbères et l'Arabo-islamisme en Algérie, Montréal, édition KMSA.
- Presthus Robert, Men At the Top, Astudy in Community Power, New York, Oxford University, 1949.
- Renaudot Françoise, l'Histoire des Français en Algérie, Paris, édition Robert Laffont, 1979.

المعاجم باللغة الأجنبية:

- Dictionnaire Résumé de la Théorie du Langage, Hachette Université, 1979.

- Dsual Ducrot, TZ Votan Todorov, Dictionnaire Encyclopédique des sciences du langage,édition du Seuil, France 1972.

- Fagen, Politics and Communication, Little Brown, 1966

الـــفـــــــهرس

المقدمة ..... أ

المدخل 01

مقدمة منهجية :

1. علم الاجتماع اللساني وعلاقته بعلم اللهجات 02
2. علم اللهجات 04
3. علم الاجتماع اللساني 07

أ.علم الاجتماع وعلم الاجتماع اللساني 11

ب.ماذا أخذ علم الاجتماع اللساني من علم الاجتماع 12

الفصل الأول : **تاريخ الجزائر وعلاقته بالتركيبة السوسيو ثقافية الحالية للشعب الجزائري**

تمهيد 23

1.نبذة تاريخية عن السكان الأصليون للجزائر 24

2.أهم الحقب التاريخية التي مرت بها الجزائر:

أ.العهد البربري 30

ب.العهد العربي الاسلامي 33

جـ.العهد العثماني 34

د.العهد الفرنسي 36

- العامل الاقتصادي 36

- العامل السياسي 37

- العامل الديني 38

3.الجزائر، المعطيات التاريخية ونتائجها اللغوية:

- العصور القديمة 39

- الفتح الاسلامي والاحتلال التركي 41
- الاستعمار الفرنسي 43
- قدوم المستوطنون الأوربيون 47
- نسب السكان الأوربيون غير الفرنسيين بالجزائر عبر السنين 49
- المسألة التربوية 50
- أهم السياسات التربوية المتخذة من طرف المسؤولون الجزائريون (1962 – 1999):
1.الرئيس بن بلة 52
2.الرئيس هواري بومدين والتعريب الاجباري 54
3.الرئيس الشاذلي بن جديد 56
4.الرئيس محمد بوضياف 57
5.لبرئيس لمين زروال 58
6.الرئيس عبد العزيز بوتفليقة 58
خلاصة الفصل 60
الفصل الثاني : **الخطاب السياسي، ماهيته والمناهج اللغوية المعتمدة في تحليله**..... 67
تمهيد 68
1.ماهية الخطاب السياسي 68
أ. مفهوم الخطاب 68
ب. الخطاب السياسي 74
جـ. الخطاب السياسي العربي 91
د. الخطاب السياسي الغربي 102
2.تحليل الخطاب السياسي، لسانيات النص 153
3.خلاصة الفصل 163
الفصل الثالث : **التحليل السوسيولساني للخطاب السياسي الجزائري ما بعد 1988** 164

تمهيد 165
تحليل الخطاب السياسي الجزائري (مرحلة ما بعد 1988، مرحلة التعددية الحزبية) 171
النتائج 188
جدول تحليل الخطب السياسية الجزائرية 189
النتيجة العامة 208
الملحق 209
المصطلحات 210
المصادر والمراجع 212

الـــملخـــص:

لقد ألقت العولمة بظلالها على ميادين عديدة، لعل أهمها الاقتصاد، السياسة والإعلام. أما هذا الأخير فهو، حسب رأيي، مفتاح هذا النظام العالمي الذي جعل من العالم قرية تحكمها قوى عظمى همها الوحيد هو جمع المال بكل السبل... وحتى تبسط هذه الدول سيطرتها المطلقة على العالم وتتحكم فيه، وجدت لها سلاحا فتاكا، إنه الإعلام. لقد أصبحت تجيش الجيوش، من لغويين وعلماء اجتماع وعلماء النفس والأنثربولوجيون ...، من أجل صياغة الخطب التي تسحر العقول وتفتح الأبواب واسعة أمام أصحابها. من هذا المنطلق، حاولت في هذه الدراسة، البحث فيما كان السياسيون الجزائريون يعون ذلك وبالتالي يتخذون استراتيجيات معينة في سن خطبهم السياسية؛ وبحكم التخصص (علم اللهجات) ارتكزت على الجانب اللغوي، فحاولت الإجابة على الإشكالية التالية: **هل يمكن اعتبار اللغة أحد نقاط القوة أو الضعف في يد السياسيين الجزائريين؟**

الكلمات المفتاحية:

اللهجة، علم اللهجات، الإرث السوسيوثقافي الجزائري، لغة السياسة الجزائرية.

Résumé :

La mondialisation a jeté une ombre sur de nombreux domaines, notamment l'économie, la politique et les médias. En ce système mondiale, dominé par les grandes puissances, la richesse représente la seule préoccupation, peu importe le moyen…

Afin de réaliser le contrôle absolu du globe, les grands pays ont recruté une armée de linguistes, de sociologues, de psychologues, d'anthropologues …, afin de rédiger des discours, ailant capables d'enchanter les esprits, ce qui garantira les conséquences souhaitées. Autour de cette idée, j'ai essayé de bâtir ma présente étude, et chercher de savoir, à quel point les politiciens algériens comptent ou pas, sur une stratégie linguistique, qui leur permettra de faire passer le message souhaité.

Mots clés :

Dialecte, dialectologie, l'héritage socioculturelle algérien, la langue politique algérienne.

Summary :

Globalization has cast a shadow over many fields, including economics, politics and media. The latter, in my opinion, is the magic of this world system, dominated by big powers, where wealth is the only concern, no matter the means… and to achieve absolute control of the world, major countries have recruited an army of linguists, sociologists, psychologists etc… to speech writing with ability to enchant minds, which will ensure the desired outcomes. On this idea, I tried to build my study, and seek to know how algerian politicians have or not a language strategy, that will allow them to get the desired message, settled in their people's minds.

Key words:

Dialect, dialectology, Algerian social and cultural heritage, the Algerian political language